الجانب الإلهي في كتاب "تأويلات أهل السنة" للماتريدي

إعداد

د.علي أحمد التجاني

مدرس العقيدة والفلسفة

الجانب الإلـهي في كتـاب "تأويلات أهل السنة" للماتريدي

علي أحمد التجاني علي

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: alitijani.sha.b@azhar.edu.eg

الملخص:

الإلهيات هي الأمور المتعلقة بالله، كتاب الماتريدي "تأويلات أهل السنة" كتاب تفسير للآيات، وشرح لموضوعات العقيدة، والماتريدي هو، أبو منصور الماتريدي صاحب المذهب المعروف في بلاد ما وراء النهر.

وقد أردت في هذا البحث تتبع الآيات التي تكلم فيها الماتريدي عن موضوعات الإلهيات المختلفة؛ لبيان جانب من القيمة العلمية للكتاب، مبينا رأي الماتريدي في موضوعات الإلهيات المختلفة (معرفة الله باعتبارها أول وأهم القضايا العقدية، وجود الله، وأدلة الآفاق والأنفس، الصفات، الأسماء، رؤية الله)، موضحاً أدلته على آرائه، كاشفاً عن الطريق الذي أوصله لهذه الآراء، وهل هو النقل فقط ام العقل أم الاثنين معا، مع بيان ما يترتب على ذلك من بيان من أي الاتجاهات هو، هل العقلية أن النقلية أم الوسطية.

وقد استخدمت لبيان ذلك المنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي؛ لتحليل النصوص الماتريدية، واستنباط الآراء التي لم يصرح بها الماتريدي في كتابه تأويلات أهل السنة.

وتوصلت إلى النتائج التالية: الماتريدي من أعمدة أهل السنة والجماعة، الماتريدي منهجه وسط بين العقل والنقل؛ فلا هو يميل إلى المعتزلة ولا إلى

الاشاعرة بل هو يمزج بين العقل والنقل وصولاً إلى العقائد التي تتفق مع النقل والعقل والفطرة في معرفة الله، ووجوده تعالى، واتصافه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص، وتسميته بالأسماء الحسنى كلها، وكذلك بجواز رؤيته تعالى في الدنيا–مع عدم تحققها–ووجوب رؤيته تعالى في الآخرة، يكل ذلك بكيفية لا يعلمها غلا الله تعالى.

واقترح: إعداد دراسات عن جانب النبوات، وجانب السمعيات من خلال كتاب تأويلات أهل السنة.

الكلمات المفتاحية: الإلهيات، الماتريدي، تأويلات أهل السنة، الرؤية، الصفات.

The Divine Aspect of The Interpretations of the Sunnis by The Mardi

Ali Ahmad Al , Tijani Ali

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys in The Oriental, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: alitijani.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract:

The divine things are related to God, the Book of Matridi "Interpretations of the Sunnis" is a book of interpretation of verses, an explanation of the themes of faith, and the Matridi is, Abu Mansour al-Matridi, the owner of the well-known doctrine in Mesopotamia.

In this research, I wanted to follow the verses in which the Matridi spoke about the topics of different divinities, to show a part of the scientific value of the book, indicating the opinion of the Matridi in the various subjects of the divine (knowing God as the first and most important issues of the decade, the existence of God, the evidence of horizons and the soul, qualities, names, the vision of God), explaining his evidence on his opinions, revealing the way he conveyed these opinions, and whether it is only the transfer or the mind or both, with a statement of the resulting statement of any of the Trends is, is the mentality that transportation or centrist.

It was used to illustrate that analytical and introspective approach; to analyse the texts of the Methodist, and to devise opinions that were not stated by the Metridi in his book Interpretations of the Sunnis.

I reached the following conclusions: the Maatridi from the pillars of the Sunnis and the Jamaa, the Metridi method is a medium between reason and transport; He is perfect and disassociated from all shortages, and his name is called all good names, as well as the possibility of seeing him in this world- with no realization - and the need to see him in the hereafter, in a way that god does not know.

He suggested: preparing studies on the side of prophecies, and the audio side through the book of interpretations of the Sunnis .

Keywords: Divine, Matridi, Interpretations of the Sunnis, Vision, Qualities.

المـقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، وبعد،

فإن المذهب الماتريدي يعتبر من أهم المذاهب الكلامية الإسلامية؛ إذ يشكل مع المذهب الأشعري، مذهب أهل السنة، كذلك فإنه يعتبر حلقة مهمة من حلقات الفكر العقدي الفلسفي في الإسلام.

وزعيم المذهب، أبو منصور الماتريدي أو علم الهدى – كما يطلق عليه– من أهم الشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي بشكل عام، وفي بلاد ما وراء النهر بشكل خاص؛ إذ أنه أحد أئمة أهل السنة، ومن فطاحل نهايات القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع؛ إذ جاهد في نشر فكر أهل السنة، ومقاومة الفكر المعتزلي المغالي في النزعة العقلية، وكذلك غيره من الأفكار والمذاهب المناوئة لمذهب أهل السنة، والتي كانت منتشرة في ذلك الزمان في تلك البلاد.

وقد بث علم الهدى، أفكاره من خلال مؤلفاته المتعددة، على أن هنالك، بعض المؤلفات الهامة، لم تحظى بالاهتمام اللائق بها، من جانب الباحثين والدارسين والمهتمين بأفكار علم الهدى.

ومن أهم هذه المؤلفات، التي لم يلتفت لها الكثير من الباحثين، تفسير القرآن العظيم، والمعروف أيضا بـ كتاب "تأويلات أهل السنة"، فهذا الكتاب يعد من أهم ما صنف أبو منصور الماتريدي؛ لأنه يعتبر خلاصة حياته الفكرية وآراؤه العقدية، كما أنه يرد فيه على المنكرين والمخالفين له في الآراء العقدية، ويدحض فيه شبهات الراغبين في زعزعة العقيدة الإسلامية.

كما أن أهمية الكتاب تتمثل في أنه ليس تفسيرا محضا؛ ولكنه (تأويلات أهل السنة) بمعنى أنه تفسير غرضه الأول: الرد والحوار ومقارعة الحجة بالحجة.

وكذلك أهمية الكتاب تتمثل في أنه يطلعنا بوضوح على شرح مراد الله سبحانه من وجهة نظر سنية، وهو يعتمد على العقل والنقل في تفسيره، ولعله أول من سار هذا المسار من أهل السنة؛ فهو يرد على من لا يتفق معهم من المعتزلة والمجسمة والمشبهة والحشوية وغيرهم، ويقرر العقيدة السنية أثناء تفسيره بالأدلة العقلية والنقلية ويستخلص المسائل الاعتقادية من الآيات بمهارة كبيرة.

ويمكن تلخيص السابق فيما ذكرته عنه محققة الكتاب (فاطمة الخيمي) في مقدمة التحقيق:" يعد هذا الكتاب من أهم ما صنف أبو منصور الماتريدي؛ لأنه يمثل قمة ما وصل إليه علمه، الذي نذر فكره وحياته له، لبيان صحة مذهب أهل السنة والجماعة، والدفاع عنه تجاه تيارات المذاهب المخالفة الراغبة في زعزعة صرح العقيدة الإسلامية ".

أما عن أسباب اختيار الموضوع:

١- المكانة العظيمة لعلم الهدى أبو منصور الماتريدي
٢- المكانة المؤثرة لكتاب تأويلات أهل السنة بالنسبة للموروث الماتريدي
٣- عدم التفات كثير من الباحثين والدرسين لكتاب تأويلات أهل السنة
٤- المكانة العظمى للجانب الإلهي في البنيان العقدي الإسلامي.

أما عن منهج البحث فقد اعتمدت فيه على المنهج التحليلي للنصوص والاستنباطي لتقرير الآراء الماتريدية.

أما عن خطة البحث: فقد جاءت في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة بينت فيها، أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المستخدم في البحث، وخطة البحث.

التمهيد فقد بينت فيه نبذة عن، الجانب الإلهي في العقيدة، الماتريدي، كتاب تأويلات أهل السنة.

المبحث الأول: معرفة الله تعالى، وسبلها.

المبحث الثاني: وجود الله تعالى، وأدلته.

المبحث الثالث: الصفات والأسماء.

المبحث الرابع: رؤية الله تعالى.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج البحث.

المراجع.

الفهرس.

تمهـــيد

العقيدة الإسلامية هي الدين القيم، هي الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، هي التي تظهر في تآخيها مع العقل، الرسالة العامة، والنبوة الخاتمة، التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

إن العالم اليوم، قد تصارعت فيه القوى العقلية، والمذاهب الفكرية، والاتجاهات المادية، وأصبح متلهفاً، باحثاً، عن عقيدة تؤازر العلم، وتمنح النفس الإنسانية السعادة المفقودة، وتسمو بها وبقواها المختلفة نحو آفاق الملأ الأعلى.

ولن تكون تلك العقيدة، إلا العقيدة الإسلامية[١]، التي ختم الله تعالى بها الرسالات، وأتم بها النعمة على العباد.

وفي ضوء هذه العقيدة الخاتمة، تأتي هذه الدراسة (الإلهيات في كتاب "تأويلات أهل السنة" للماتريدي).

فما هي الإلهيات؟ وما هو كتاب "تأويلات أهل السنة"؟ وما هي أهمية هذا الكتاب؟ ومن هو الماتريدي؟

هذا هو ما سنحاول الإجابة عليه في السطور القادمة.

أولاً: الإلهيات: –

هي المبحث الأول من مباحث علم العقيدة، وهي معرفة: ما يجب، وما يجوز، وما يستحيل، على الله تعالى.

---

[١] – د محمد سيد أحمد المسير/ الإلهيات في العقيدة الإسلامية/ ص ٣/ط دار الاعتصام/القاهرة.

ثانياً: كتاب " تأويلات أهل السنة": –

كتاب "تأويلات أهل السنة" يعتبر من أهم كتب أبي منصور الماتريدي، وقد وقع اختيار الباحث عليه لأنه: –

١– المصنف الوحيد الذي صنفه الماتريدي في التفسير، على أن الكتاب ليس كتاب تفسير فقط بل هو: –

- كتاب تفسير للقرآن الكريم.
- كتاب يعنى باستخلاص المسائل العقدية، من آيات القرآن الكريم.
- كتاب يعنى بالرد على المنكرين والمعارضين ومناقشتهم، ويهتم بمقارعة الحجة بالحجة.

٢– لم ينل الاهتمام الكافي من الباحثين والدارسين؛ على الرغم مما يحمله الكتاب من كنوز علمية ثمينة.

خصائص منهج أبي منصور الماتريدي في كتابه: –

- تفسير القرآن، بالقرآن؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل جلاله من الله.
- الاستعانة في التفسير ببيان أسباب النزول.
- ذكر الأقوال في تفسير الآية، مناقشة كل قول، ثم الترجيح، ذكر سبب الترجيح.
- ذكر آراء المخالفين، ذكر أسماء المخالفين سواء كانوا أشخاص أم فرق، ثم الرد عليهم، مدعماً رأيه بالأدلة العقلية والنقلية.
- استخراج القضايا العقدية، وعرضها وشرحها، وبيان مذهبه فيها مدعوماً بالأدلة، مع ذكر آراء المخالفين والرد، عليهم كالمعتزلة وغيرهم.

- الموضوعية في العرض والحكم.
- الاعتماد على العقل والنقل، والمؤاخاة بينهما في انسجام كامل.
- اعتماده في تفسير آيات الأحكام الفقهية على مذهب أبي حنيفة النعمان.
- تأكيد الأفكار؛ باستخدام الأساليب المختلفة.
- تكرار تفسير بعض الآيات في مواضع مختلفة، إذا أفاض الله تعالى عليه، بجديد في تفسيرها ليزيدها وضوحا وتثبيتاً.
- تجاوز بعض الآيات؛ إن لم تكن محط اختلاف آراء المفسرين والمؤولين.
- الإشارة إلى القراءات المختلفة – حتى الشاذة منها–للآيات.
- الاستناد في التفسير لتوجيهات قواعد اللغة العربية.
- الاعتماد في ذكر الأحاديث النبوية على الذاكرة؛ لذلك نجد فيها بعض الاختلافات اللفظية.

وكانت لهذه الخصائص المنهجية، بالغ الأثر في قول عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ) صاحب كتاب «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» عن الماتريدي أنه هو :«مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مَحْمُود أَبُو مَنْصُور الماتريدي من كبار الْعلمَاء تخرج بِأبي نصر العياضي كَانَ يُقَال لَهُ إِمَام الْهدى لَهُ كتاب التَّوْحِيد وَكتاب المقالات وَكتاب رد أهل الْأَدِلَّة للكعبي وَكتاب بَيَان أَوْهَام الْمُعْتَزلَة وَكتاب تأويلات الْقُرْآن وَهُوَ كتاب لَا يوازيه فِيهِ كتاب بل لَا يدانيه شيء من

تصانيف من سبقه فى ذَلِك الْفَنّ وَله كتب شَتَّى مَاتَ سنة ثَلَاث وَثَلَاثِينَ وَثَلَاث مائَة بعد وَفَاة أبي الْحسن الْأَشْعَرِيّ بِقَلِيل وقبره»[1].

ثالثاً: الماتريدي: –

اسمه وكنيته:

الماتريدي هو: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود بن مُحَمَّد أبو منصور الماتريدي.

وأصل نسبته: ماتريت أو ماترید وهي محلة من سمرقند، وأحيانًا تضاف نسبته إلى سمرقند، فيقال: أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وكنيته: أبو منصور.

ألقابه:[2] –

- إمام الهدى.
- إمام المتكلمين.
- مصحح عقائد المسلمين.
- رئيس أهل السنة والجماعة.
- مهدي هذه الأمة.
- ناصر السنة.
- قامع البدعة.

---

[1] – عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي أبو محمد محي الدين الحنفي/الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية/ ط مير محمد كتب خانه / ص ١٣٠/ج ٢/ كراتشي/ الشاملة/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

[2] – فاطمة يوسف الخيمي/ مقدمة كتاب" تأويلات أهل السنة"/ص١٦/ط مؤسسة الرسالة ناشرون/ ط١/بيروت/٢٠٠٤م.

- محيي الشريعة.
- موطد عقائد أهل السنة.

نسبه:

قيل: إن نسب الماتريدي يرجع إلى أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، وهذه النسبة تدل على شرف أسرته و نسبه؛ إذ إنها تنتهى إلى أبي أيوب الأنصاري، وهو الذي نزل عليه رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – حين هاجر إلى المدينة المنورة، لهذا يذكره البياضي فيقول: الإمام أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود الماتريدي الأنصاري.

على الباحث عن أسرة الماتريدي يجد صعوبة بالغة؛ نظرًا لإهمال المصادر التاريخية لها وسكوتها عن الحديث عنها.

مولده:

لم تذكر المصادر التاريخية تاريخاً محدداً، ولكن نستطيع أن نتلمس مولده في العقد الرابع من القرن الثالث الهجري، وعلى وجه التحديد في عهد المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ)[١]، وبهذا يكون مولده متقدمًا على مولد أبي

[١] – المتوكل على الله: جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد اسمها شجاع، ولد سنة خمس–وقيل: سبع– ومائتين، وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وبعد الواثق، فأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وفي سنة أربع وثلاثين استقدم المحدثين إلى سامرا، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية٠٠٠ وتوفّر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، ==

الحسن الأشعري ببضع وعشرين سنة على الأقل؛ إذ ولد الأشعري سنة ٢٦٠ هـ، وقيل: سنة ٢٧٠ هـ.

ويرجح كون مولده في عهد المتوكل أن هناك شيخين من شيوخه هما: مُحَمَّد بن مقاتل الرازي، ونصير بن يحيى البلخي، مات الأول منهما سنة ٢٤٨ هـ، وتوفي الثاني سنة ٢٦٨ هـ؛ أضف إلى هذا أن من أقرانه من توفي سنة ٢٦٨ هـ وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن المغيرة بن عمرو الأزدي.

ويعني هذا أن الماتريدي قد ولد قبل عام ٢٤٨ هـ بوقت يسمح له بتلقي العلم عن شيخه الذي مات في تلك السنة.

وفاة الماتريدي:

اتفقت معظم كتب التراجم على أن الماتريدي توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة،

البيئة التي نشأ فيها الماتريدي: -

عاش الماتريدي في عصر الدولة السامانية التي وليت سمرقند ما بين ٢٦١ - ٣٨٩ هـ، وكان ملوكها أحسن الملوك سيرة وإجلالاً للعلم.

نشأ الماتريدي في مدينة سمرقند، تلك المدينة التي تتمتع بخصائص ومميزات- سواء من ناحية طبيعتها، أو أهلها، أو حتى حكامها- تساعد

==

والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم» تاريخ الخلفاء/ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)/تحقيق حمدي الدمرداش/الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز/ الطبعة الأولى/ص٢٥٢/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة١٤٣١هـ.

على تحصيل العلم والبروز فيه، فبرز في علوم شتى، أهمها: العقيدة، والتفسير فكان واحد عصره إمام دهره.

الحركة الثقافية في سمرقند:

تمتعت سمرقند بمكانة علمية وثقافية مرموقة، فقد خرج منها علماء أفذاذ في تاريخ الإسلام، كانت لهم بصمتهم الواضحة في الفكر الإسلامي، بل والإنساني، من أمثال: البخاري، ومسلم، وأبي زيد الدبوسي، وآل البزدوي، والكاساني، وعبد الله النسفي، وأبي الحسن الكرخي، والجصاص الرازي، وأبي بكر الشاشي وغيرهم من قادة الفكر الإسلامي، ممن لا يتسع المقام لذكرهم.

هذه هي البيئة التي نشأ فيها الماتريدي، وهي بيئة –من غير شك–تساعد على مدارسة العلم وتحصيله والنبوغ فيه، ولقد كان لها أكبر الأثر في نبوغ الماتريدي.

شيوخه وتلاميذه وأقرانه: –

أولاً: شيوخه:

ولقد تتلمذ الشيخ أبو منصور الماتريدي على يد علماء كبار، ذكرت منهم كتب التراجم أربعة علماء يحتلون مكانة بارزة بين أعلام الفقه الحنفي وبين علماء زمانهم وهم:

١ – أبو نصر العياضي:

٢ – أبو بكر أحمد الجوزجاني:

٣ – مُحَمَّد بن مقاتل الرازي:

٤ – نصير بن يَحْيَى البلخي:

ثانيًا: تلاميذه: –

قد تتلمذ على يد الشيخ أبي منصور الماتريدي كثيرون، صاروا شيوخًا وعلماء كبارًا، وأسهموا في نهضة الحياة الفكرية والثقافية والعلمية في العالم الإسلامي.

ومن هَؤُلَاءِ الذين تخرجوا على يد أبي منصور الماتريدي:

١ –إسحاق بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن زيد، أبو القاسم القاضي الحكيم السمرقندي.

٢–عبد الكريم بن موسى بن عيسى أبو مُحَمَّد الفقيه البزدوي النسفي.

٣ –أبو عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري:

ثالثًا –أقرانه:

١ –علي بن سعيد، أبو الحسن الرُّسْتُغْفَنيُّ.

٢ –مُحَمَّد بن أسلم بن مسلمة بن عبد الله بن المغيرة بن عمرو بن عوف الأزدي، وكنيته: أبو عبد الله.

٣ –مُحَمَّد بن اليمان، وكنيته: أبو بكر، الملقب بالسمرقندي الإمام.

ومن خلال دراسة شيوخ الماتريدي وتلاميذه وأقرانه نتبين أن بيئة الماتريدي كانت غَاصَّةً بالعلماء الكبار من ذوي القدر والسبق، كما يتضح لنا طبيعة الحياة العلمية والفكرية والثقافية الحافلة التي كان يعيشها هذا العالم الجليل أبو منصور الماتريدي، ومدى ما بلغته من نضج وازدهار.

قيمة الماتريدي العلمية: –

تبين لنا مما سبق أن الماتريدي تعلم على أيدي علماء كبار ينتسبون إلى أبي حنيفة، وأنه قد استفاد من آراء أبي حنيفة الكلامية، ولكنه لم يكن مجرد شارح ومفصل لطريقة أبي حنيفة، بل كان مبتكرًا، له منهجه الخاص به ومذهبه المغاير للمذاهب الكلامية الشائعة آنذاك، ومن ثم فإن علم الكلام استوى على سوقه على يد الماتريدي.

ولكي نتعرف قيمة الماتريدي العلمية لابد من التعرف على مصنفاته في العلوم المختلفة:

١ –مصنفاته في التفسير والتأويل[١]:

كتاب يسمى: " تأويلات أهل السنة ".

٢ –مصنفاته في علم الكلام:

– كتاب: (التوحيد).

– كتاب: (المقالات).

– كتاب: (الرد على القرامطة).

– كتاب: (بيان وهم المعتزلة).

– كتاب: (رد الأصول الخمسة لأبي مُحَمَّد الباهلي).

---

[١] – مجدي باسلوم/ مقدمة تحقيق كتاب" تأويلات أهل السنة"/ للماتريدي/ ص ٨٦/ط دار الكتب العلمية/ لبنان/٢٠٠٥م/ أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين/تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣

- كتاب: (رد أوائل الأدلة للكعبي).

- كتاب: (رد وعيد الفساق للكعبي).

- كتاب: (رد تهذيب الجدل للكعبي).

- كتاب: (رد الإمامة لبعض الروافض).

ولقد زاد بروكلمان كتاب (الأصول) في قائمة كتب الماتريدي

ولم يحفظ لنا الزمان من هذه الكتب سوى كتاب (التوحيد) وكتاب (المقالات)، وكتاب (التوحيد) صحيح النسبة إلى الماتريدي، ذكرته كل كتب التراجم قديمًا وحديثًا.

٣ -مصنفاته في الفقه وأصوله:

ذكرت كتب الطبقات للماتريدي في هذا المجال كتابين: كتاب (الجدل)، وكتاب (مآخذ الشرائع).

٤ -كتب أخرى:

ذكر فؤاد سركين أن للماتريدي رسالة فيما لا يجوز الوقف فيه في القرآن، وهي رسالة صغيرة الحجم، مودعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٨٤ قراءات. وعدد صفحاتها خمس، وتدور حول بيان المواضع التي لا يجوز الوقف عليها في قراءة القرآن، وفيما لو تعمد الواقف عليها الوقف بأنه يكفر، ولو وقف ساهيًا فسدت صلاته، وقد بينها الماتريدي -إن صحت نسبتها إليه- في اثنين وخمسين موضعًا في القرآن.

وهذه الرسالة لم يذكرها أحد للماتريدي سوى سيزكين، ومع هذا فلا يستبعد أن تكون له؛ لأن الماتريدي كان دائم الاهتمام بالقرآن وتأويله وبيان أحكامه»

٥-كتب نسبت إلى الماتريدي:

١ – كتاب: " شرح الفقه الأكبر " وهو مطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٦٥ هـ، ذكره فيننسك، وذكر أنه راجع بعض النسخ المخطوطة لهذا الشرح فلم يجد فيها التصريح بنسبته إلى الماتريدي، ورجح أن السبب في هذه النسبة وقوع بعض أقوال الماتريدي فيه، وأيد هذا الشيخ أبو زهرة في كتابه عن أبي حنيفة، واستند في ذلك إلى الخلاف مع آراء الأشعرية، والمذهب الأشعري لم يتم إلا بعد الجيل الذي تلا وفاة الأشعري. ومن ثم يترجح أن نسبة هذا الشرح إلى الماتريدي نسبة غير صحيحة.

٢ – كتاب العقيدة، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية مخطوطة تحت رقم (١٤٧) تيمور عقائد، وينفي نسبته للماتريدي السبب السابق نفسه في نفي نسبة كتاب (شرح الفقه الأكبر) إليه؛ إذ اشتمل الكتاب على الخلاف بين الأشعرية والماتريدية.

٣ – كتاب (شرح الإبانة)، وهي نسبة غير صحيحة؛ لافتقارها إلى السند، كذلك لم نر أحدًا نسب هذا الكتاب إلى الماتريدي من أصحاب كتب الطبقات، سواء القدماء أو المحدثون، كذلك لم يرد أن كتاب (الإبانة للأشعري) وصل إلى بلاد ما وراء النهر في عصر الماتريدي.

إذن فنسبة الشيخ مصطفى عبد الرازق هذا الكتاب إلى الماتريدي غير صحيحة.

وهذه الكتب التي ذكرتها كلها مخطوطة باستثناء كتاب التوحيد، بل إن معظم هذه الكتب مفقود.

يدلنا هذا كله على مكانة الماتريدي العالية، وقدمه الراسخة في العلم، وذيوع شهرته، ومحبة العلماء له، واقتدائهم به، وأخذهم عنه، فرحم الله – تعالى – الشيخ الماتريدي لقاء ما قدمه للعقيدة الإسلامية الصحيحة من جهود مشكورة في الذب عنها، ودحض شبه المغرضين حولها.

المبحث الأول

معرفة الله تعالى وسبلها

قضية الالوهية من أهم القضايا التي شغلت الفكر البشري على مر العصور، وقد بحثها الإنسان وعالجها منذ أقدم العصور، وعرف وجود الله تعالى وأقام الأدلة على وجوده تعالى، وقد تأثرت هذه الأدلة بثقافات أصحابها وبيئاتهم وخلفياتهم.

ومن أهم الشخصيات التي تحدثت في هذه القضية هو أبو منصور الماتريدي، وكانت له دوافع قوية لبحث هذه القضية وما يتبعها في واحد من أهم كتبه وهو كتابه: تأويلات أهل السنة "وإذا أردنا بيان هذه الدوافع نجد أنها تتمثل في:

١- مناقشة الخصوم ومنكري الوجود الإلهي والرد عليهم حيث كانت بيئته في بلاد ما وراء النهر تعج بديانات مختلفة، وفرق مختلفة (المرجئة والكرامية والخوارج وفرق المعتزلة كالنجارية والحسينية) وثقافات متنوعة، وآراء فلسفية كثيرة لها تصورات تخالف الدين الإسلامي مما أحدث اضطراب سياسي، وبلبلة فكرية كبيرة، فرأي الماتريدي أن من واجبه التصدي له والدفاع عن العقيدة الإسلامية متمثلة في أصلها وهو الوجود الإلهي.

٢- ترسيخ العقيدة الإسلامية وتوضيح مفاهيمها للمسلمين بشكل خاص وللجميع بشكل عام حيث كان الماتريدي في بلاد ما وراء النهر وكانت دياناتهم القديمة كالزرادشتية والمانوية والبرهمية وغيرها، لذلك كان حتميا على الماتريدي ومن هم على شاكلته أن

ينشروا الدين الصحيح ويدافعوا عنه، ويبينوا للناس مميزاته عن غيره من الديانات الوضعية.

٣- الإسلام دين يدعوا إلى اعمال العقل والنظر والفكر، ويرفض التقليد، وقد بين القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى (اقرأ)، (أفلا ينظرون)، (أفلا يعقلون) وغيرها الكثير من الآيات الداعية إلى إعمال العقل والفكر والنظر وصولا إلى الحقائق وأولها وجود الله تعالى ومعرفته ومعرفة ما يليق به تعالى.

فإذا علمنا أن أبا منصور الماتريدي يرفض التقليد علمنا السر وراء الاهتمام بالعقل وبيان مميزاته وفضله وما يترتب عليه.

أولا: معرفة الله تعالى[1]: –

معرفة الله تعالى أول وأهم قضية في الجانب الإلهي؛ إذ أنها الأساس الذي ينطلق منه كل شيء، يقول الماتريدي:"٠٠٠المعرفة هي سبب يبعث على التصديق، كما يبعث الجهالة على التكذيب "[2]

فيجب على الفرد أن يبحث عن الله ويحاول معرفته والتقرب إليه بعمل ما يرضيه والبعد عما يغضبه تعالى في الدنيا والآخرة، وليس في الدنيا فقط؛ لأن الماتريدي يرى في تفسير قوله تعالى (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١) [الحج: ١١] أن هناك أقوام لا يعرفون الله تعالى حق المعرفة؛ فيعبدونه بحق الربوبية له تجاههم، ولا يؤمنون بالآخرة، فلا يكون عملهم للعواقب الأخروية، بل للدنيا ومنافعها فقط .

---

[1] – «معرفة الله سبحانه وتعالى نوعان: معرفة ذاته بالوجود٠٠٠ ومعرفة ذاته في الكنه والحقيقة، يعني نقول: هي قسمان: معرفة وجود ومعاني ومعرفة كنه وحقيقة،أما معرفة الوجود والمعاني فهذا هو المطلوب منا، وأما معرفة الكنه والحقيقة فهذا غير مطلوب منا، فلا أحد يعرف حقيقة ذات الله سبحانه وتعالى ولا حقيقة صفاته، والوصول إلى ذلك مستحيل ٠٠٠صفات الله عز وجل لا تصل إلى حقيقتها وكنهها والمطلوب إذا معرفة الذات بالوجود ومعرفة الصفات بالمعاني، أما معرفة الكنه والحقيقة فهذا مما لا يعلمه إلا الله عز وجل»شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية/المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين/الناشر: دار الوطن/الرياض/ط/ص ١/١٤٧/١٤٢٦ هـ/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

[2] – أبو منصور/ التوحيد/ تحقيق د. فتح الله خليف/ص ٣٨٠/ ط دار الجامعات المصرية/ الإسكندرية/ مصر.

وقد أكد هذا المعنى أيضا عند تفسيره لقوله تعالى (أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩) [البقرة: ١٩] من أنهم يعبدون الله تعالى للمنافع الدنيا فقط، ولا يدركون أن هناك بعداً أخرويا يجب النظر إليه والاهتمام به.

وقد سلك الباحثون عن الله تعالى طرق مختلفة واتجاهات متعددة وتتمثل في:

ثانيا: سبل معرفة الله تعالى

١- الاتجاه العقلي في معرفة الله تعالى: -

أقدم أصحاب هذا الاتجاه هم المعتزلة، فقد أثبتوا أن سائر الشرائع لا تثبت إلا بعد معرفة الله تعالى، ومعرفة الله تعالى لا تحدث إلا بالنظر[١]؛ وعليه وجب أن يكون النظر هو أول الواجبات على المكلف، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار[٢]:" إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟

---

[١] - النّظر هو: فكر يُؤَدّي إِلَى علم أَو اعْتِقَاد أَو ظن/ راجع الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي/تحقيق: د. مازن المبارك/الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت/ط ١/ص ٦٩/ ١٤١١هـ/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١

[٢] - هو:القَاضِي عَبْدُ الجَبَّارِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ أَحْمَدَ بنِ خَلِيْلٍ الهَمَذَانِيُّ العَلاَّمَةُ، المُتَكَلِّمُ، شَيْخُ المُعْتَزِلَة، أَبُو الحَسَنِ الهَمَذَانِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، مِنْ كِبَار فُقَهَاء الشَّافِعِيَّة سَمِعَ مِنْ: عَلِيّ بن إِبْرَاهِيْمَ بنِ سَلَمَةَ القَطَّان، وَلَعَلَّهُ خَاتمَةُ أَصْحَابه، وَمن عَبْد اللهِ بن جَعْفَرِ بنِ فَارس بِأَصْبَهَانَ، وَمن الزُّبَيْر بنِ عَبْدِ الوَاحِدِ الحَافِظ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بن حَمْدَان الجَلاَّب حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو القَاسِمِ التَّنُوْخِيّ، وَالحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الصَّيْمَرِيُّ الفَقِيْه، ==

فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة "[1]وذلك لأنه لو كان العلم به تعالى ضروريا، ومعلوم بالحواس، لما اختلف حول وجوده العقلاء، ولكن ذلك باطل بالمشاهدة، فبطل ما أدى إليه وهو كون وجوده تعالى معلوم بالضرورة، وثبت كون وجوده تعالى معلوم بالنظر.

إذن بالغ المعتزلة في الاستناد إلى العقل في قضية وجود الله تعالى ومعرفته، يقول الآمدي [2]فِي " أَبْكَارِ الْأَفْكَار ":" ذَهَبَ أَبُو هَاشِمٍ[1] مِنَ

==

وَأَبُو يُوْسُفَ عَبْدُ السَّلَامِ القَزْوِيْنِيّ المُفَسِّر، وَجَمَاعَة وَلِي قَضَاء القُضَاة بِالرَّيّ، وَتَصَانِيْفُه كَثِيْرَة، تَخَرَّجَ بِهِ خلقٌ فِي الرَّأْي الْمَمْقُوت مَاتَ فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَة خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَع مائَة، مِنْ أَبْنَاءِ التِّسْعِيْنَ» سير أعلام النبلاء/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي/تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط/الناشر : مؤسسة الرسالة/ط٣ /ج١٧ص ١٤٥،١٤٤/١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١

[1] – القاضي عبد الجبار /شرح الأصول الخمسة /تحقيق عبد الكريم عثمان/ص٣٩/ط مكتبة وهبة/ القاهرة/١٩٦٥م.

[2] – هو:سَيْفُ الدِّيْنِ عَلِيُّ بنُ أَبِي عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَالِمٍ التَّغْلِبِيُّ، الآمِدِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، ثُمَّ الشَّافِعِيُّ،وُلِدَ: سَنَةَ نَيِّفٍ وَخَمْسِيْنَ، وَقرَأَ بِآمِدَ القِرَاءاتِ عَلَى: عَمَّارٍ الآمِدِيّ، وَمُحَمَّدٍ الصَّفَّارِ ،وَتَلَا بِبَغْدَادَ عَلَى: ابْنِ عَبِيْدَةَ،وَحَفِظَ (الهِدَايَةَ)، وَتَفَقَّهَ عَلَى ابْنِ المَنِّيّ،وَسَمِعَ مِن: ابْنِ شَاتيل، وَغَيْرِهِ، ثُمَّ صَحِبَ ابْن فَضْلَانَ، وَاشْتَغَل عَلَيْهِ فِي الخلَاف،وَبَرَعَ، وَحَفِظَ طَرِيقَةَ الشَّرِيْفِ، وَنظرَ فِي طَرِيقَةِ أَسْعَدَ المِيْهَنِيّ، وَتَفَنَّنَ فِي حِكْمَةِ الأَوَائِلِ، فَرقَّ دِينُه وَاظلَمَّ، وَكَانَ يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً،قَالَ عَلِيُّ بنُ أَنْجَبَ، فِي (أَسْمَاءِ المُصَنِّفِيْنَ) : اشْتَغَل بِالشَّامِ عَلَى المُجِيْرِ البَغْدَادِيّ، ثُمَّ وَرِدَ إِلَى بَغْدَادَ، وَاشْتَغَل بِـ (الشِّفَاءِ) وَبِـ (الشَّامِلِ) لأَبِي المَعَالِي، وَحَفِظَ عِدَّةَ كُتُبٍ، وَكرَّر عَلَى (المُسْتَصْفَى) ، وَتَبَحَّرَ فِي العُلُوْمِ، وَتَفَرَّدَ بِعِلْمِ المَعْقُوْلَاتِ

==

الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ بِالدَّلِيلِ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّ ضِدَّ الْمعرفَة النكرَة» من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر؛ لأن ضد المعرفة النكرة، والنكرة كفر"[٢]،وضح اذن كيف بالغ المعتزلة في اتجاههم العقلي حتى أنهم طبقوا قوانين العقل على الجناب الإلهي.

٢- الاتجاه النقلي في معرفة الله تعالى: -

ويقابل الاتجاه المعتزلي العقلي اتجاه الحشوية[٣] النقلي الذين تمسكوا بالنصوص في معرفة الله تعالى، واعتبروا معرفة الله تعالى من الأمور التي

==

وَالمَنْطِقِ وَالكَلَامِ، وَقَصَدَهُ الطُّلَّابُ مِنَ البِلَاد، وَكَانَ يُوَاسيهِم بِمَا يَقدرُ، وَيُفْهِم الطُّلَّاب، وَيُطَوِّلُ رُوحه» راجع سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (٢٢/ ٣٦٤).

[١] - هو: أَبُو هَاشِمٍ الجبَائِيُّ عَبْدُ السَلَامِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ عَبْدُ السَلَّامِ ابنُ الأُسْتَاذ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بنِ سَلَامٍ الجبَائِي، المُعْتَزِلِي، مِنْ كِبَارِ الأَذْكِيَاء أَخذ عَنْ وَالده ولـه كتَاب (الجَامِع الكَبِيْر) ، وكتَاب (الْعرض) ، وكتَاب (المَسَائِل العسكريَة، وَأَشيَاء،تُوُفِّيَ: سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِيْنَ وَثَلَاثِ مائَةٍ، وَلَهُ عِدَّةُ تلَامِذَة» راجع سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (١٥/ ٦٣).

[٢] - ابـن حجـر العسـقلاني/فتح البـاري شـرح صـحيح البخـاري/ط دار المعرفـة/ج ١٣/ص٣٥٠/ بيروت/ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي/ تصحيح محب الدين الخطيب/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة/١٤٣١هـ .

[٣] - الحشويَّةُ: طائِفَةٌ من المُبْتدعَةِ/ تاج العروس من جواهر القاموس/المؤلف: محمّد بن محمّـد بـن عبـد الـرزّاق الحسـيني، أبـو الفـيض، الملقّـب بمرتضـى، الزَّبيـدي/المحقق: مجموعة من المحققين/الناشر: دار الهداية/ص٣٧/٤٣٤/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

==

لا دخل فيها للعقل؛ لأن البحث في الله تعالى من الأمور التي نهانا عنها الشرع المنزل، واستندوا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ الله وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الله فَتَهْلِكُوا))»[1].

وقد وصفهم ابن رشد[2] بالضلال، وانهم مجانبون لمقصود الشرع الحكيم الذي طلب من متبعيه إعمال العقل والفكر والنظر، من التفكر في خلق الله تعالى، والتدبر فيه، وصولا لمعرفة الله تعالى، يقول ابن رشد:" إنه متى

==

وراجع كذلك الاتجاهات الحشوية في الفكر الإسلامي "عرض ونقد"/ د.أحمد قوشتي عبدالرحيم/حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية/ كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة/السنة السابعة/العدد ٢٥.

[1] – جلال الدين السيوطي/ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير/ تحقيق يوسف النبهاني/ط دار الفكر/ ج٢/ص٣٢/ط١/بيروت / لبنان/٢٠٠٣م/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

[2] – هو :محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ويكنى أبا الوليد، وهي كنية انتحلها أجداده من قبله فلزمته، ولد عام ٥٢٠هـ– ٥٩٥هـ، ولد قرطبة الأندلس، توفي بمراكش ، نشأ في بيت فقهاء وقضاة وكانت أسرته من أكبر الأسر وأشهرها في الأندلس، روى عن: أبيه أبي القاسم، وعن أبي مروان بن مسرة، وعن أبي بكر بن سمحون، وعن أبي جعفر ابن عبدالعزيز، وغيرهم، من تلاميذه أبي عبدالله الندرومي، أبي جعفر احمد بن سابق، أبي القاسم الطيلسان، وغيرهم، من كتبه: تهافت التهافت– فصل المقال– الكشف عن مناهج الأدلة ، وغيرهم(راجع تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب/تأليف محمد لطفي جمعة/ص ١١٢– ١٤٧ بتصرف/ط المكتبة العلمية/ بيروت.

وجدت من الناس جماعة يعجزون عن استخدام عقولهم في معرفة وجود الله، فما عليهم إلا أن يؤمنوا بالطريقة التي يرتضونها"[1].

وفي النهاية فإن ما يراه أصحاب الإتجاه النقلي من عدم معرفة الله بالعقل، بل بالسمع مما ورد من القرآن والسنة النبوية، لا يمكن الوصول إليه؛ لأن الإيمان والتصديق بهما–القرآن والسنة–متوقف على القضية الأولى، وهي وجود الله تعالى ثم الإيمان به؛ فالإنسان إذا آمن بالله فسوف يؤمن ويصدق بكلامه تعالى من قرآن وسنة، وإلا فلا.

إذن ثبوت حجية الكتاب والسنة فرع ثبوت الربوبية والألوهية.

فيجب البدأ بوجوده تعالى من خلال العقل مدعوما بالنقل.

٣– الاتجاه التوفيقي بين العقل والنقل: –

ومن أهم أصحاب الاتجاه التوفيقي الأشاعرة[2] فقد ذهبوا إلى أن معرفة الله تعالى تثبت بالشرع عن طريق الاستدلال والنظر، يقول الباقلاني[3] :"أول ما

---

[1] – ابن رشد/ مناهج الأدلة في عقائد الملة/تحقيق محمود قاسم/ص١١/ ط٣/القاهرة/١٩٧٢م.

[2] – هي التيار العقدي الذي ينتسب إلى منهج أبي الحسن الأشعري في دراسة علم العقيدة/راجع قانون التأسيس العقدي/ سلطان العميري/ ط ١/ ط تكوين/ ص١٤٥/٢٠٢٠م.

[3] – هو:محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة، سكن بغداد، وسمع بها الحديث من: أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري،خرج له: محمد بن أبي الفوارس، وحدثنا عنه: القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، وكان ثقة، فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطرا، وأجودهم لسانا، وأوضحهم ==

فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته[1]، والاستدلال عليه بآثار قدرته٠٠٠لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهدة بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة"[2]،والداعي إلى وجوب النظر هو الشرع نفسه المتمثل في الكتاب والسنة النبوية، وفي ذلك يرى أبو حامد الغزالي[3] أن :" الوحي والعقل

==

بيانا، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم" راجع تاريخ بغداد/أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي/المحقق: الدكتور بشار عواد معروف/الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت/الطبعة: الأولى/ج٣،ص ٣٦٤/١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

[1] – تيسير أحميد الركابي/العقل والاستدلال العقلي عند المتكلمين/ط دار الفيحاء/ص١١/ط١/لبنان/٢٠١٧.

[2] – الباقلاني /الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به/ط الخانجي/ط٢/ص٢٢/القاهرة/١٩٦٣م.

[3] – هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله «اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجح به، ولم يزل ملازما له إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته، فخرج من نيسابور إلى العسكر، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه، وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس، فظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان» راجع وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن

==

متعاضدان؛ فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل"[1]العقل لن يهتدي إلا بالشرع ،والشرع لن يثبت إلا بالعقل .

رأي الماتريدي في معرفة الله تعالى وصلتها بالإيمان به: –

يرى أبو منصور الماتريدي أن معرفة الله تعالى يمكن التوصل إليها عن طريق العقل (الفكر والنظر والتدبر)،الحواس السليمة[2](السمع ، البصر، الشم، اللمس، الذوق)، الاخبار الصادرة عن العباد الصادقة، والأدلة على ذلك هي الأوامر القرآنية الكثيرة الآمرة بالنظر والتدبر واستعمال الحواس، وتصديق أخبار الرسل، التي منها أقواله تعالى((أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية: ١٧–٢٠،((قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١) [يونس: ١٠١]، ((سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣]، ((وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢١].

إذن أمرنا الله تعالى بالنظر في أنفسنا، يقول الماتريدي:"٠٠٠٠من عرف نفسه عرف ربه٠٠٠خروجه من تدبير نفسه في التكوين والإفناء والإبقاء ثم

==

خلكان البرمكي الإربلي /المحقق: إحسان عباس/ج٤ص٢١٧/الناشر: دار صادر – بيروت.

[1] – الغزالي/معارج القدس في مدارج معرفة النفس/ط الاستقامة/ص٦٠/القاهرة/١٣٢٩هـ.

[2] – تاج الدين السبكي/السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ تحقيق د. مصطفى صائم بيرم/ط آيدم/ص٤/ط١/٢٠١١م.

من ابداء جميع المحسوسين إذ هم تحت تدبيره٠٠٠فيعلم أنه بقادر لا يعجز، وعالم لا يجهل، وجبار لا ينازع في تدبيره فيعرف أنه جل وعلا لا يشبهه شيء من ذلك"[١] وفي السماء وفي الأرض وفي جميع المخلوقات لنصل من خلالها إلى معرفة الله تعالى وتوحيده جل وعلا، يقول الماتريدي:" التفكير في الأشياء، ومعرفة ما استتر منها من المبادئ والنهايات يقود حتما إلى معرفة محدثها ومبديها "[٢].

وقد اهتم الماتريدي اهتماما كبيرا بالعقل ومكانته في قضية معرفة الله تعالى، بل جعله أول الخطوات في طريق البحث عن الله ومعرفته؛ إذ معرفة الله تعالى متوقفة على النظر والتدبر، والنظر والتدبر متوقف على وجود الملكة، والملكة هي العقل السليم[٣]، وقد فصل الماتريدي الحديث عن العقل وأهميته ومكانته من خلال بيان:

مميزات العقل وأهم وظائفه:

- جعل الله تعالى العقل جزءً من علمه، ويتضح ذلك من خلال تفسير الماتريدي لقوله تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤) [الأعراف: ٥٤] الذي أبان فيه اهتمام الله تعالى بالعقل، وجعله دليلاً لأهله على معرفة الله تعالى وعلى معرفة

---

[١] – الماتريدي/ كتاب التوحيد / ص١٠٣.

[٢] – السابق/ص١٣٦،١٥٣.

[٣] – الماتريدي/التوحيد / ص١٣٥.

المساوئ والمحاسن، وهو–العقل– بالذي هو جزء من علم الله تعالى، يعرف به الحكيم من السفيه، والمتقن من العبثي، وهو بذلك يثبت أنه أنشيء للحكمة، تلك الحكمة التي تحدث عنها الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩) [الملك: ١٨–١٩] وقال أنها هي: وضع الشيء في موضعه، وتبيين ماله مما ليس له، وإدراك عواقبه وما يترتب عليه من محاسن ومساوئ.

- أهل العقول هم أهل المرتبة الأولى والأعلى، يقول الماتريدي – ما معناه–عند تفسيره لقوله تعالى (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤) [الأعراف: ٩٤] وقوله تعالى (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦) [الأنعام: ٧٦] الناس درجات ومراتب، منهم من يفهم بالعقل ولا يحتاج إلى معونة السمع، وهؤلاء هم الحكماء والعلماء الذين يدركون الأشياء بالبديهة، ومنهم من لا يدرك الأمور إلا بمعونة السمع وكثرة التنبيه، وهم كالصبيان، ومن البشر من لا يدرك لا بالعقل ولا بالسمع، بل يدرك بالشدائد والمحن والبلايا، وهؤلاء كالبهائم التي لا عقل لها ولا سمع.

وعليه فقد أرسل الله تعالى لأمة النبي صلى الله عليه وسلم أدلة حسية، وأدلة عقلية، فأصحاب العقول الأدنى والأقل جعل الله تعالى أدلتهم حسية، مثلما فعل الله تعالى مع قوم موسى عليه السلام، إذ أن عقولهم تقصر عن فهم المحسوس ودركه، فضلا عن المستدل عليه، وهذا ما أوضحه الماتريدي عند تفسيره لقوله تعالى (وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ

بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤) [البقرة: ٥٤] .

- أنه نوع من أنواع النعيم؛ يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢) [المطففين: ٢٢] أن النعيم أنواع، منه نعيم الدنيا، ومنه نعيم الآخرة، ومنه نعيم الأبدان، ومنه نعيم العقول.

ونعيم العقول هو: إطاعة العقل فيما يدعوا إليه، حيث إن العقول تدرك الحسن والقبح.

- يؤهل اليتامى للاستقلال بأموالهم وأحوالهم الخاصة، يقول الماتريدي ما معناه في تفسيره لقوله تعالى (وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٦) [النساء: ٦] إن اختبرنا اليتامى والقصر، ورأينا أنهم أدركوا الأمور والفوائد والمنافع بحلم وعقل ووقار، فادفعوا إليهم أموالهم، واجعلوهم يستقلون بإدارتها والانتفاع بها.
- معرفة الفواحش والمنكرات وتمييزها؛ يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦) [آل عمران: ٣٦] العقل السليم يمكنه معرفة الفواحش وتمييزها عن غيرها؛ وذلك لأن الماتريدي يجعل العقل قادرا على معرفة الحسن والقبيح، وقد زاد الماتريدي هذه النقطة ايضاحا عند تفسيره لقوله تعالى (وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ

مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥) [الأنعام: ٧٥] و (وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ٢٨) [الأعراف: ٢٨.

- تمييز المعروف والأمر به؛ يقول – ما معناه–في تفسيره لقوله تعالى (كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠) [آل عمران: ١١٠] المعروف في هذه الآية ..... المعروف حسنه عند العقول، أي الذي يستحسن عند العقل، والعكس، وهو المنكر أيضاً عند العقل.
- إدراك الحسن في:

١- العقل ٢- الطبع ٣- في الشيء ذاته ٤- في عاقبة الأمور وخواتيمها، ويتضح ذلك من تفسير الماتريدي لقوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤) [آل عمران: ١٤] .

- معرفة الصانع، إدراك وجوده ووحدانيته، يرى الماتريدي من خلال تفسيره لقوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١) [النساء: ١] أن العقل السليم يمكنه ملاحظة دلائل وجود الله تعالى، وبالتالي الإيمان به وحده لا شريك له.

- لزوم الإيمان؛ يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥) [النساء: ١٦٥] أن العقل له من المكانة ما يؤهله لأن يكون سبيل لزوم الدين والإيمان؛ فلا يكون للناس الذين منحهم الله العقل السليم حجة في عدم الإيمان؛ إذ أن الله جعل في كل خلق من الدلائل ما لو تؤمل فيه لدل على وجود الله تعالى، وعلى معرفته، وعلى ألوهيته، وعلى وحدانيته، وعلى ربوبيته.
- تحريم الشرك بالله تعالى عقلاً، يرى الماتريدي عند تفسيره لقوله تعالى (وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٤٩) [الأنعام: ٤٩] أن الشرك بالله تعالى حرام شرعا، وفي ذلك بيان لأهمية العقل، وعظم فائدته؛ حيث جعله سبب في حرمة الكفر بالله؛ ذلك لأن العقل يدرك أنواع النعم والإحسان والأفضال من الله تعالى علينا، فكيف نشرك به غيره في الألوهية والربوبية، لذلك الإشراك بالله تعالى حرام عقلا وسمعاً.

وعليه، يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٥٠) [غافر: ٥٠] أنه يجوز إهلاك الكفار قبل إرسال الرسل إليهم؛ وذلك لأن الله تعالى قد أقام الحجة عليهم بالعقل، فهم لو استخدموا نعمة العقل في النظر والفكر والاستدلال على وجود الله تعالى وعلى معرفته، لعرفوا الله تعالى، وعرفوا وجوب وجوده ووجوب الإيمان به تعالى، والعكس، فلو أهلكهم الله تعالى لكان إهلاكهم عن بينة وعن حجة؛ لأن الحجة إنما تلزم بالبينات لا بنفس إرسال الرسل، والبينات قد وجدت، وسبب المعرفة وطريق المعرفة موجود وهو

العقل، لكن الله تعالى برحمته وفضله لم يهلكهم حتى – كما بين في تفسيره لقوله تعالى (أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦) [ق: ٦] يرسل إليهم الرسل؛ وذلك كي يقطع عليهم الحجج، ويؤكد لهم ثمرات العقل واستنتاجاته، ويبين لهم كيفية ومقدار ووقت العبادة لله تعالى مؤيدا ذلك بالوعد و الوعيد.

- الاتعاظ والفهم والتحرك من خلالهما، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧) [آل عمران: ٧]، وقوله تعالى (وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦) [البقرة: ١٢٦] حيث حصر الاتعاظ على أصحاب العقول والفكر والفهم، وصولا إلى رضا الله تعالى وجنته، والبعد عن غضبه وناره.
- التمييز بين المحكم والمتشابه، ويتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى (لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨) [آل عمران: ١٨٨] حيث يرى الماتريدي أن: تمييز المحكم من المتشابه من الأمور العقلية؛ فالمحكم هو الذي يدركه العقل السليم ويفهمه، والمتشابه هو ما لا يدركه العقل ولا يفهمه.

- إدراك ما لا تدركه الحواس؛ يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨) [آل عمران: ١٨٨] أن العقل فوق الحواس والمحسوسات؛ لأنه يدرك ما لا تدركه الحواس، فمكانته أعلى وأرقى لإدراكه ما يغيب عن الحواس، ويبعد عنها.
- إدراك نعم الله عليه وحسن استعمالها؛ يقول الماتريدي – ما معناه– في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦) [البقرة: ١٢٦] العاقل هو من يدرك نعم الله عليه، ثم يستعملها فيما يزيد إيمانه، ويقوى يقينه بالله تعالى.
- إدراك الأمور المهمة، وترتيب الأولويات، يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٤٤) [البقرة: ٤٤] أن من مميزات العقل إدراك الأمور المهمة وترتيب الأولويات، وبالتالي معرفة بماذا نبدأ وبماذا نختم، ويرى الماتريدي أننا يجب علينا البدء بمعرفة أنفسنا ثم معرفة الغير؛ لأن ذلك أنفع وأسرع، إذن العقل يرى أن أول السعي هو معرفة وإصلاح النفس ثم معرفة وإصلاح الغير.
- وكأنه يريد أن يقول إن الترتيب في الأولويات كالآتي:

١–اعرفوا أنفسكم ٢–ابحثوا عن الله ٣–اعرفوا الله ٤–وحدوا الله

٥–اعبدوا الله.

- إدراك النافع من الضار، والخبيث من الطيب والمفيد من المهلك، وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧) [الأعراف: ١٥٧].
- إدراك العلل وأسباب الأحكام، يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١) [البقرة: ٢٢١] أن من مميزات العقل إدراك الأسباب والعلل وراء إصدار الأحكام، وأن الأصل هو حفظ الأحكام بالعلل مادامت توجد علل، وقد أكد الماتريدي على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧) [الأعراف: ٢٧].
- تحقيق المنفعة وراء الآيات، يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣) [الرعد: ٣] أن تحقق المنفعة والفائدة وراء الحجج

والآيات لا تتحقق إلا بالتفكير والنظر والبحث والاستدلال، وكلها أعمال عقلية.

على أن الماتريدي يرى أن عدم تحقق المنفعة وراء النعم سواء كانت العقل أو الحواس يجعلها في حكم المنفية أو المعدومة إذ أن الوجود الفعلي للنعم هو استعمالها، وليس مجرد الوجود المادي (الوجود بالفعل وليس الوجود بالقوة) وقد اتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى (مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤) [هود: ٢٤]، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ١٠٠) [الأعراف: ١٠٠].

- الاستماع لأوامر الله تعالى والتفكير فيها والعمل بمقتضاها، وهذا ما أوضحه الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤) [الأعراف: ٢٠٤].
- العقل وعدمه كالنور والظلام، يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١) [الأنعام: ١٢١] أن من يستعمل عقله كمن يعيش في النور، ومن لا يستعمل عقله كمن يعيش الظلام والضلال.
- القدرة على إقامة الحجج والتمكن من سبل الإقناع، يقول الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ٧٦) [الأنعام: ٧٦] – ما معناه–أن

من يستعمل عقله يتمكن من إيراد الحجج والأدلة، ويتحقق بحسن النطق والبيان في أي قضية يتحدث فيها.

- محبة الحق واتباعه، يرى الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠) [المؤمنون: ٧٠] أن العاقل يجب الحق ويحب اتباعه وتطبيقه، حيث يقول ما نصه:"٠٠٠وإلا فلا أحد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته يكره الحق، ويترك اتباعه".

غير أن طريق العقل ليس سهلا ولا ميسرا لكثير من الناس، بل إن الكثير منهم تعثر في هذا المسلك ولم يصل لفائدة، وقد أرجع الماتريدي العلة وراء ذلك إلى أن:" الأشغال وازدحامها على العقول يلبسها، فكذلك الهموم وأنواع ما جبل عليه البشر، وكذلك أنواع الألم، وأسباب لا تحصى مما يشغل العقول ويمنعها عن الإحاطة بالحق في كل لطيف وجليل، وكذلك غلبة الشهوات وكثرة الأماني واللذات" [١].

من هذا النص للماتريدي، ندرك مدى فهمه للعقل البشري، واهتمامه به، وبالدور المنوط به في قضية الألوهية، وكيف أدرك أن الأوهام والمشاغل، تمثل عائقا كبيرا، أمام العقل البشري، في محاولته الوصول إلى معرفة الله تعالى، في حدود القدرة والطاقة البشرية؛ لذلك كانت الحاجة ملحة إلى أرسال الرسل مبشرين ومنذرين، موضحين ومؤكدين آمرين وناهين، وذلك كما وضحه – الماتريدي – عند تفسيره لقوله تعالى (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

[١] – الماتريدي /التوحيد/ص ١٨٢،١٨٣.

١٦٥) [النساء: ١٦٥] من أن إرسال الرسل رغم وجود العقل، إنما هو، قطع الاحتجاج على المنكرين، إذ أن العقل كاف في الاستدلال على وجود الله تعالى.

إذن الماتريدي يهتم بالعقل البشري، ويذهب معه إلى أقصى الحدود، لدرجة أنه يبطل إيمان المقلد[١]؛ إذ لابد له أن يستدل على إيمانه، ويرى الماتريدي أن التقليد من الأمور الشائعة المنتشرة بين الناس في مختلف المذاهب والنحل، على أن المقلد ليس له في التقليد عذر؛ فالله تعالى قد منحه العقل الذي به يستطيع التفكير، وامتلاك المعطيات التي تصل به الى الحقيقة والمعرفة، والدليل على ذلك ان كثير من الناس قد وصل الى الحقيقة والمعرفة باستخدام العقل.

فإن كان ولابد من التقليد، فلابد من تحري من نقلده، وليس أي شخص نقلده بلا ضوابط وحدود، بل لابد من ظهور صدقه وعلمه، ويقول في ذلك : "٠٠٠٠لأن التقليد ليس مما يعذر صاحبه ؛لإصابة مثله ضده"[٢].

---

[١] –التقليد في اللغة: وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به، ويسمى ذلك قلادة، والجمع قلائد، قال الله تعالى: { وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ}، ثم يستعمل في تفويض الأمر إلى الشخص استعارة، كأنه ربط الأمر بعنقه، وهو في عرف الفقهاء: قبول قول الغير من غير حجة، أخذًا من هذا المعنى/ راجع " روضة الناظر وجنة المناظر" في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل/المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي/الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع/ط٢/ ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١ (٢/ ٣٨٠):

[٢] – الماتريدي /التوحيد/ص ١.

وكذلك يهتم الماتريدي جدا، بالشرع المتمثل في نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية، ويجعلهما أساساً، ينطلق منه في حجاجه العقلي، في هذه القضية وغيرها، ضد المنكرين والملحدين وعامة المخالفين .

إذن يتضح أن معرفة الماتريدي لمقام العقل في القضايا الإلهية، إنما هي معرفة منبثقة من النصوص الشرعية ومستندة عليها ومتقوية بها، وكيف لا والنصوص الشرعية هي التي دعت إلى إعمال العقل في الأنفس والمخلوقات وجميع العالم وصولا إلى معرفة الله عز وجل.

فهو–الماتريدي–لم يتطرف في التعويل على العقل إلى أقصى الحدود، ولم يتزعم الاتجاه النقلي المحافظ، بل أرضى جميع الاتجاهات بما ابتكره من مواقف رصينة نابعة من فكر شرعي وعقلي أصيل.

وبعد معرفة الله تعالى بالعقل، والحواس، والخبر الصادق من القرآن الكريم والسنة النبوية، وجب علينا الإيمان بالله تعالى.

وهنا ترد بعض التساؤلات مثل:

١– هل الإيمان يختلف عن الإسلام؟ أم أنهما بمعنى واحد؟

٢– هل الإيمان ثابت؟ أم يزيد وينفص؟

يرى الماتريدي أن الإيمان هو: التصديق بالقلب، ولما كان التصديق أمرا مخفيا غير ظاهر، فإن الشرع أوجب الإقرار به، والإعلان عنه؛ لتجري على الفرد الأحكام الدنيوية؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا،

وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1].

إذن الإيمان عملية قلبية؛ يقول الله تعالى: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦) [النحل: ١٠٦]، وأعمال الجوارح ليست داخلة فيه، إنما هي دالة عليه، بدليل قوله تعالى: (قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١) [إبراهيم: ٣١] فقد سماهم الله تعالى مؤمنين قبل إقامة الصلاة، وكذلك أجمع المسلمون على إيمان أهل الكهف، وسحرة فرعون، وإن لم يوجد منهم العمل، فثبت أن العمل ليس من الإيمان .

من خلال هذه الأدلة يتبين أن الإيمان قلبي، وهو منفصل عن العمل.

وقد أشار الماتريدي إلى العلاقة بين الإيمان والمعرفة، فالمعرفة تبعث على الإيمان والتصديق، كما أن الجهالة تبعث على التكذيب والضلال، وفي ذلك يقول الماتريدي عند تفسيره لقوله تعالى (وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩) [المزمل: ٨-٩] – ما معناه– أن سبب الإيمان هو معرفة الله تعالى بالقلب، و وقوع الهيبة، واستشعار العظمة لله بالقلب، ذلك هو الدافع للإيمان بالله، وليس الدافع للإيمان هو الخوف من وقوع العقوبة عند الوقوع في الخطأ، أما الكفرة فلم يعرفوا عظمة الله تعالى ، ولم يستشعروا هيبته ولا قدرته ولا سلطانه، وبالتالي لم يؤمنوا به تعالى.

[1] – البخاري /كتاب الإيمان/ج١/ ٨٧.

زيادة الإيمان ونقصانه: –

يرى الماتريدي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ وذلك بناء على أن الإيمان عمل قلبي ولا دخل فيه للجوارح، فالإيمان عنده – الماتريدي–هو التصديق والإقرار؛ وقد استدلوا على ذلك بأن الواجب في الإيمان هو التصديق البالغ حد الجزم، والذي لا يقبل التفاوت؛ لأن "التفاوت إنما هو لاحتمال النقيض، واحتماله ولو بأبعد وجه ينافي اليقين ولا يجامعه"[١]، على أن السلف يرون أن الإيمان يزيد وينقص، وقد عقد البخاري كتابا للإيمان وقرنه بالعمل الصالح، وذكر فيه أدلة كثيرة متنوعة تدلل على رأيه[٢].

ويلخص فخر الدين الرازي الآراء في هذه القضية فيقول:" الإيمان عندنا– الماتريدية–لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه لما كان اسما لتصديق الرسول في كل ما علم بالضرورة مجيئه به، وهذا لا يقبل التفاوت، وعند المعتزلة لما كان اسما لأداء العبادات كان قابلا لهما، وعند السلف لما كان اسما للإقرار والاعتقاد والعمل، فكذلك، ٠٠٠٠والتوفيق أن يقال: الأعمال من ثمرات التصديق، فكل ما دل على أن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كان مصروفا إلى أصل الإيمان، وما دل على أنه قابل لهما، مصروف إلى الإيمان الكامل"[٣].

---

[١] – قاضي زاده/نظم الفرائد وجمع الفوائد /ص ٣٩/ط١/القاهرة/١٣١٧هـ.

[٢] – البخاري/كتاب الإيمان/ج١/١١.

[٣] – الرازي /محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين/ط المطبعة الحسينية/ص ١٧٥/ القاهرة/١٣٢٣هـ.

إذن، من جعل الإيمان تصديق وعمل، جعله يزيد وينقص باعتبار زيادة الأعمال المترتبة على الإيمان ونقصانها، لا من جهة الإيمان في حد ذاته، فهو ثابت لا يتغير، وهذا ما أوضحه الماتريدي عند تفسيره لقوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ٣١) [المدثر: ٣١] ، ومن جعله تصديق، ولا علاقة له بالأعمال والجوارح، فقط جعله ثابت لا يزيد ولا ينقص.

الإيمان والإسلام: –

هل الإيمان والإسلام مصطلحان متفقان أم متغايران؟

يرى الماتريدي، أنهما بمعنى واحد، وإن كانت الألفاظ مختلفة، لكن الاختلاف في الظاهر وعند التحقيق نجد أن المعنى واحد، يقول الماتريدي:" من حيث كان بوجود واحد وجود الآخر"[1]، ويقول في تفسيره لقوله تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ٦٩) [الزخرف: ٦٩]:" الإيمان والإسلام متغايران لفظا، متحدان في معناهما، فكلاهما فيه تسليم وانقياد لله تعالى، وإقرار له تعالى بالألوهية والربوبية، وأنه لا شريك له تعالى".

فالإسلام هو الخضوع والانقياد، أي قبول الأوامر والنواهي وكافة أحكام الله تعالى، وذلك هو التصديق الذي هو حقيقة الإيمان، وموضع الإيمان هو القلب، كما قال الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ

[1] – الماتريدي/ التوحيد/ص ٣٩٥.

ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨) [المجادلة: ٨].

وقد قال الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية ما يدل على اتحاد الإيمان والإسلام، ومنها قوله تعالى (فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦) [الذاريات: ٣٥-٣٦]، وقال تعالى أيضاَ (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤) [يونس: ٨٤]، وقال تعالى أيضاَ (يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧) [الحجرات: ١٧]، وهنالك الكثير من الآيات التي تدل على اتحادهما في المعنى، ومما يؤكد ذلك أن الشرع لا يصحح أن يحكم على أحد بأنه مؤمن وليس بمسلم، أو مسلم وليس بمؤمن، وكذلك اتفاق المذاهب الإسلامية على أن ما يخرج من الإيمان يخرج من الإسلام[١].

إذن الفرق بين الإيمان والإسلام كالفرق بين العام والخاص، فالإسلام أعم والإيمان أخص.

ويلخص الماتريدي هذه النقطة عند تفسيره لقوله تعالى (إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢) [المطففين: ٢٢] فيقول ما معناه: الإيمان هو أن تصدق بالله أنه رب كل شيء وإذا صدقت بأنه رب كل شيء، فقد جعلت الأشياء كلها سالمة ومسلمة له تعالى.

[١] – الماتريدي/ التوحيد/ ص٣٩٨.

ويقول في موضع آخر من تفسيره لنفس الآية: الإيمان إذا ذكر منفردا، أريد به الإيمان والإسلام، وكذلك الإسلام إذا ذكر منفردا اقتضى معنى الإسلام والإيمان.

إذن المغايرة في المعنى عند الذكر معا، والتضمن في المعنى عند الذكر منفردا، والداعي وراء ذلك كما ذكره الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢) [آل عمران: ٥٢] هو أن: العمل فيهما واحد، لأن الإيمان أن تصدق أنك عبد لله، والإسلام هو أن تجعل نفسك لله سالما، ومسلما.

وزاد في تفسيره لقوله تعالى (وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣) [البقرة: ١١٣] أن الإسلام هو الخضوع، وقيل هو الإخلاص بالأفعال، أي أن يسلم نفسه لله، أو يسلم دينه لله، وألا يشرك فيه.

وذكر الماتريدي في تفسير نفس الآية أن بعضهم قال: الإيمان اسم لما بطن، والإسلام اسم لما ظهر.

فإذا انتقلنا لنقطة أخرى لها علاقة بذات الإيمان والإسلام، وهي إيمان المقلد فنقول:

إيمان المقلد: –

التقليد أولا، غريزة في الكائن الحي؛ حيث ينزع الصغير إلى تقليد الكبير، فيأخذ عنه عاداته وينقلها بدوره إلى الجيل الذي يليه، وهكذا ٠٠٠٠، وتبدوا

هذه الغريزة واضحة في الإنسان في أطواره العمرية والعقلية الأولى، حتى إذا بلغ رشده واكتملت شخصيته ونضجت، بدأ يستقل بذاته شيئا فشيئا، مستخدما عقله ومعارفه، وهذا ما يجعل كل انسان عالما قائما بذاته، دون أن ينفصل عن جماعته في مسيرتها العامة.

والتقليد قد يكون محمودا، وقد يكون مذموما، على حسب الشخص الذي يقلد إن كان من أهل الاستقلال، فالتقليد في حقه مذموما، وإن لم يكن ممن لديه مؤهلات الاستقلال، فالتقليد في حقه محموداً، وكذلك الشخص الذي نقلده إن كان من أهل العلم والعقل فتقليده محموداً، وإلا فلا.

يزيد الماتريدي هذه النقطة وضوحا عند تفسيره لقوله تعالى (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ٤٣) [النحل: ٤٣] فيقول ما مؤداه: الاعتقاد واعتناق الدين يكون بثلاث طرق:

أ- تقليد الآخر، ممن هو أكثر فهما، وعلما، وخبرة، والمقلد لا يملك، ولن يملك المقومات التي تجعله فاهم عالم خبير، عندها يمكنه التقليد.

ب- معرفة الحق وإدراكه، وبالتالي اتباعه.

ت-الظن أنه الحق والخير، وبالتالي اتباعه عند عدم القدرة على التيقن.

يتبين من الكلام السابق، أن الماتريدي يجوز ايمان المقلد، ولكن بشروط معينة.

وقد اختلفت الفرق في حكم إيمان المقلد، فقالت المعتزلة[1]: بعدم صحة إيمان المقلد، وأنه في منزلة بين المنزلتين، وقال أبو هاشم الجبائي: إنه كافر، وأنه

[1] - القاضي عبد الجبار/ شرح الأصول الخمسة/ص ٦٠،٦١بتصرف.

لا يحكم بإيمان المؤمن إلا إذا عرف كل مسألة من المسائل الاعتقادية بالدليل العقلي، وامكنه مجادلة الخصوم، وقدر على دفع الشبه الواردة عليه.

وقال الأشعري[1]: شرط صحة إيمانه أن يعرف كل مسألة بدلالة عقلية، وليس الشرط أن يعبر عنها بلسانه، ويجادل بها خصومه، وقد ورد في "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي[2] ما نصه: "الأشعري لَا يشْتَرط فِي صِحَة الْإِيمَان مَا قَالُوا من علم الْكَلَام بل هُوَ وَجَمِيع أهل التَّحْصِيل من أهل الْقبْلَة يَقُولُونَ يجب على الْمُكَلف أَن يعرف الصَّانِع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده وَاسْتِحْقَاق نعوت الربوبية وَلَيْسَ الْمَقْصُود اسْتِعْمَال أَلْفَاظ الْمُتَكَلِّمين من الْجَوْهَر وَالْعرض وَإِنَّمَا الْمَقْصُود حُصُول النّظر وَالِاسْتِدْلَال الْمُؤَدى إِلَى معرفَة الله عز وَجل »[3].

---

[1] – الشهرستاني/ نهاية الأقدام في علم الكلام/تحرير وتصحيح الفريد جيوم/ص ٤٧٠،٤٧٤بتصرف/ط المثنى / بغداد.

[2] – تاج الدين السُبْكي (٧٢٧ – ٧٧١ هـ = ١٣٢٧ – ١٣٧٠ م)هو:عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه القضاء في الشام وعزل وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون. قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله، من تصانيفه: طبقات الشافعية الكبرى، جمع الجوامع، الأشباه والنظائر، وغيرها.

[3] – السبكي/ طبقات الشافعية الكبرى/تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو/ط
هجر/ج٣/ص٤٢٠/ط٢/ ١٤١٣هـ/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

المبحث الثاني

وجوده تعالى وأدلته

قضية وجود الله تعالى من القضايا الفطرية، بمعنى أنها واضحة الأدلة، كثيرة الشواهد، متى خلص العقل من شوائب التقليد ورواسب التفكير المنحرف وعادات البيئة السيئة، عندها يصل العقل السليم إلى حقيقة وجود الله تعالى، وأن الله هو الحق، وان ما عاداه فهو الباطل والضلال المبين.

على أننا لا يمكننا ترك الاستدلال على وجوده تعالى؛ لأننا لا نستطيع التغافل عن شبهات المنكرين وحجج الضالين، في كل زمان ومكان، فالذين يرفضون الاعتراف بوجوده تعالى كثر على مر الدهر، من الملاحدة، والدهريين، والشيوعيين، وأرباب المذاهب المنحرفة الهدامة.

ونحن إذ نقتدي بالقرآن الكريم ونتعلم منه، فالقرآن قد رد ودحض، شبه المنكرين على اختلاف وجهاتهم ومذاهبهم.

فالقرآن تحدث عن الوثنيين الذين أنكروا وجوده تعالى، وعن الذين عبدوا الأصنام تقربا إلى الله تعالى، وتحدث عمن جعل لله تعالى ولداً، وتحدث عمن عبد الكواكب وقدسها، وتحدث عمن أنكر النبوة والحشر، ورد عليهم جميعا بما أفحمهم وأسكتهم وأبان ركاكة مذهبهم.

والماتريدي في تدليله على قضية الوجود الإلهي، يستخدم الكثير من الأدلة المستمدة من القرآن الكريم، ومن إشاراته الإلهية، التي تدعو إلى التفكير والتدبر في كل شيء؛ وصولاً إلى معرفة الخالق وتأكيد وجوده، وإن بدا أن الأدلة عقلية في الظاهر، إلا أن الباطن قرآني، كدليل التغير والأحوال المضادة، وبرهان العناية والاختراع.

وإذا أردنا بيان السبب وراء استناد الماتريدي في أدلته على القرآن الكريم، نجد أن هذه الأسباب هي:

١- أن هذه الأدلة تنطلق من المحسوسات، والمحسوسات قريبة من الإنسان؛ لأنه يتعامل معها في كل الأحيان.
٢- هذه الأدلة تفيد الاعتقاد، وترسيخ الإيمان.
٣- الأدلة القرآنية تلفت نظر الإنسان إلى منافعه في خلق الله، والإنسان مجبول على الاهتمام بما ينفعه، فإدراكه لمنافعه إدراك لمن خلقها فيؤمن به ويفرده بالعبادة.
٤- الأدلة القرآنية تخاطب جميع الفئات العقلية والمستويات الإدراكية، العليا والوسطى والدنيا.
٥- الأدلة القرآنية تخاطب العقل والوجدان، وهما سبيلي الإيمان، وجناحي الإنسان.
٦- كثرة تنوع الأدلة القرآنية، من أدلة في الأنفس، في الحيوانات، في الطيور، في الآفاق، في البحار، والتنوع يفيد القوة والثبات.

ونحن إذ نقتدي بالقرآن الكريم فإننا نذكر الأدلة التي أوردها الماتريدي في كتابة "تأويلات اهل السنة" على وجوده تعالى وهي عديدة ومتنوعة؛ وتناسب كل المستويات العقلية؛ لأن الناس فئات ثلاث:

- العوام، الذين يقلدون في الإيمان، فهؤلاء يؤدي بهم الحديث في تفاصيل الأدلة إلى الشك والبلبلة.
- الطبقة الوسطى، وهم الذين اتصفوا ببعض الذكاء والقدرات الذهنية، وهؤلاء لا يدركون المجردات؛ لذلك خاطبهم بالأدلة المحسوسة.

- الطبقة العليا من أصحاب القدرات الذهنية المتقدة، وهؤلاء خاطبهم الماتريدي بالمجردات والأمور العقلية الصرفة، والبراهين اليقينية القطعية.

على أننا قبل التعرض لذكر الأدلة التي أوردها الماتريدي في كتابه " تأويلات أعل السنة" على وجود الله تعالى، ينبغي علينا التنبيه على أسبقية الماتريدي في استعماله لدليل الشر؛ وفي ذلك يقول الدكتور بلقاسم الغالي صحاب كتاب "أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية":" ٠٠٠وتتجلى طرافة أبي منصور في تدليله بالشر على وجود الباري سبحانه، إذ توصل بفكره الثاقب إلى استخدام جميع المخلوقات في شتى صورها، واختلاف مظاهرها"[١].

وإذا أردنا أن نقسمها، فإننا يمكننا القول أن الأدلة تتنوع إلى أدلة:

١- عقلية: وتشمل:

دليل التغير، دليل الممكن والواجب، دليل الخلق والحدوث، النظام والاتقان، دليل العناية، دليل الحركة

٢- كونية: وتشمل:

النظر في الأنفس، النظر في الكون

[١] - الدكتور بلقاسم الغالي/أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية/ط دار التركي/ص ١٣٣/١٩٨٩م.

٣- فطرية

ومن هذه الأدلة: -

١- دليل التغير
٢- دليل الأشياء الحية وغير الحية
٣- دليل الأحوال المتضادة
٤- دليل الجواهر والاعراض
٥- دليل العلية أو السببية
٦- دليل تناهي العالم
٧- دليل الحركة
٨- وجود الشر في العالم
٩- دليل العناية أو التسخير
١٠- دليل نظام العالم
١١- دليل الاختراع أو الخلق
١٢- دليل الفطرة

تفصيل الأدلة: -

قبل الحديث عن تفصيل الأدلة أقول أن الماتريدي في كتابه " تأويلات اهل السنة" لم يقف الباحث على كلام عن الأدلة العقلية بشكل واضح ومباشر، كما في باقي الأدلة كأدلة الخلق والعناية والتسخير والاتقان في الانفس وفي الآفاق، بل جل ما عثر عليه الباحث نص طويل مجمل – كعادته في كثير من المواقف في التفسير– يقول فيه :" ٠٠٠ثم إن الله جعل سبب معرفته الاستدلال بآثار الأفعال المحسوسات، فلا تفهم معرفته، ولا تقدر بمعرفة الخلق، وتقديرهم مع ما جعل الله الخلق على قسمين: قسم مما يحاط به،

وتدرك حقيقته، وهو المحسوس منه والمدرك، وقسم مما يعرف بآثار الأفعال والاستدلال بها، وهو غير محسوس من نحو العقل والبصر والسمع والروح وغير ذلك ".

فمن هذا النص ندرك أن هناك من الأدلة على وجوده تعالى ما لا نعرفه إلا بالعقل والنظر وطول الفكر والتدبر، ويرى الباحث أن الأدلة (التغير–الأشياء الحية وغير الحية–الأحوال المضادة–الجواهر والأعراض–العلية والسببية–تناهي العالم–الحركة) كلها تستند إلى هذا النص للماتريدي من تفسيره، ويتضح أن الجامع بينها كلها هو الاتجاه العقلي فيها، حيث إنها ليست من الأدلة الحسية، ولا أدلة الفطرة.

١–دليل التغير: –

يعتبر هذا الدليل من أهم الأدلة على وجود الله تعالى، وقد عرفه الفكر الإنساني في أساليب متنوعة وأشكال شتى، وأشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية مثل قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠) [آل عمران: ١٩٠]، وهذا الدليل يستند إلى تغير العالم من حال إلى حال، والتغير لابد له من مغير، فدل تغيره على وجود مغير له، وهو الصانع.[١]

وهكذا يتضح أن كل موجود في هذا العالم حقيقته قابلة للتغير، والتحول من حال إلى حال، يقول البياضي الحنفي: "يستحيل في العقل الإنساني قيام هذا العالم من السماوات والسيارات وسكون الأرض واختلافها في الكيفيات، وما

[١] – كمال الدين أجمد بن حسن البسنوي/إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان/تحقيق أحمد فريد المزيدي/ط دار الكتب العلمية/ص ٩٣/ط١/لبنان/٢٠٠٧م.

خص به الإنسان من الهيئات، واستجماع أنواع الكمالات، وما يختص به سائر الموجودات، وتغير أموره من تعاقب الضوء والظلمة، وتغير أحوال الحيوانات والمعادن والنبات من غير صانع وحافظ يحفظه عن الاختلال "

أن هذا التصوير البارع لحقائق كونية متغيرة ،تشهد بوجود الله تعالى كانت أساسا بنى عليه الماتريدي هذا الدليل ،وصورته كما حددها أبو منصور الماتريدي :أن آيات التغير في الكون بادية ظاهرة فما من وجود إلا وتعتريه حالات من التغير والزوال وفي التغير والزوال فناء وهلاك ،[1]ألا ترى إلى خلق الإنسان فإنه منتقل من الصغر إلى الكبر ومن الحسن إلى القبح وهكذا٠٠٠ثم انظر إلى الكون كيف تعتريه الحرارة والبرودة وغيرها ٠٠٠٠،وما يريد أن يثبته الماتريدي هو أن الممكنات من الأرض والسماوات وما فيها حادثة لأنها متغيرة وكل حادث فلابد له من محدث ،وهو دليل في شكل قياس منطقي مؤلف من صغرى وكبرى ونتيجة على النحو التالي :العالم متغير ،وكل متغير حادث ،فالعالم حادث .

لكن ما هي الدوافع التي دفعت بالماتريدي إلى اختيار مظاهر التغير في الكون وفي الإنسان للتدليل على مبدأ الحدوث وبالتالي على وجود الباري سبحانه؟ إن السر يكمن في أن هذه الحقائق مبنية على الإحساس والمشاهدة ومسلم بها عند أهل العلم، ولا يمكن اعتماد حقائق ليست ثابتة، ولاهي محل اتفاق بين أهل الفكر والنظر.

[1] – التوحيد /ص ١٢.

ثم ان لدليل الماتريدي طابعا قرآنيا لا شك فيه قال تعالى (قال لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا) [الكهف: ٣٧].

٢- دليل الأشياء الحية وغير الحية: -

إن الماتريدي قد استعمل هذا الدليل، وبرهن على حدوث الموجودات من خلاله، فقال في كتابه التوحيد: "ليس لأحد من الأحياء أن يدعي لنفسه القدم، بل لو قال ذلك لعرف الناس كذبه بالضرورة"[١]، خاصة أولئك الذين شاهدوه صغيرا، أو حضروا ولادته، وبناءاً على ذلك لزم القول بحدوث الأحياء، ثم إن الأموات تحت تدبير الأحياء فهم لذلك أحق بالحدوث [٢].

أذن يمكن بناء هذا الدليل على النحو الآتي: الأحياء حادثة، والأحياء تستعمل الأشياء غير الحية، فهذه الأشياء حادثة من باب أولى، ويضيف الماتريدي: ثم إن هذه الموجودات تمتاز بخصائص تثبت لها صفة الحدوث، منها أنها محتاجة إلى غيرها، وعاجزة عن اصلاح ما فسد منها هذا إذا كانت حية، أما إذا كانت ميتة فاحتياجها إلى غيرها أشد، فهي إذن أحق بالحدوث على حد تعبير الماتريدي.

وجلية الأمر فإن الماتريدي قد أثبت للأحياء صفات منها:

- أنها ليست قديمة، ومن أدعى ذلك كان كذبه ظاهرا بدليل أن ابتداءه مشاهد محسوس.

---

[١] - التوحيد ص /١١.

[٢] - السابق نفس الصفحة.

- هذه الأشياء الحية جاهلة لحالة نفسها، وعاجزة عن إصلاح ما يفسد.
- أن الأحياء محتاجون إلى غيرهم احتياجا واضحا.

تلك هي حقيقة الأحياء، أما الأموات فسلطان الأحياء عليهم جار، ونفوذهم فيها قائم ثابت، وذلك أمر مشاهد محسوس.

٣- دليل الأحوال المتضادة: -

إن هذا العالم قد اشتمل على أحوال مضادة كالحرارة والبرودة، والنور والظلمة، وغيرها ولكنها ضبطت بمعايير متناسبة، ونسب دقيقة متداخلة، فلو تجاوزت هذه المقادير وتفاوتت لاختل نظام الكون وعندئذ لابد من قاهر قد أجبرها على ذلك.

يذكر الماتريدي أن: "الحركة والسكون، والحسن والقبح، والاجتماع والتفرق، والزيادة والنقصان حقائق متضادة، والعقل البشري لا يجوز اجتماع الضدين في موضع واحد من ذات أنفسهما " ويضيف حجة أخرى فيقول: "لان الطبائع المتضادة من حقها التدافع، وفي ذلك التبدد والتفاني "، فلابد من جامع جمع هذه الأحوال المتضادة، وقاهر قهرها على ذلك، وبغيره لا تتلاءم ولا تنسجم، وهذه الأحوال أيضا فيها معنى التعاقب فهي إذن حادثة بدلالة الحس والعقل.

وأبو منصور يرد بهذا الدليل على الفلاسفة القائلين بقدم الهيولي، وبأن المادة هي التي تفعل فعلها بصفة آلية "فالإنسان من النطفة والشجر من الحب "[١]وكذلك قولهم "البروز بالقوة "وقولهم "بالهيولي "[٢]وذلك بإبراز

---

[١] – التوحيد ص ١٣.

[٢] – السابق نفس الصفحة.

المظاهر المتضادة والأحوال المتنافرة، ولكنها مع ذلك مسخرة مقهورة، وعلاوة على ذلك فصفة التعاقب والانتقال من حال إلى حال تبدوا عليها واضحة جلية، ومن كان ذلك شأنه ثبت له الحدوث.

وهذا الدليل يبرز ثقافة الماتريدي الفلسفية، ومدى اطلاعه على الفكر اليوناني والهندي وغيرهما من البلدان المجاورة.

لقد كان الماتريدي ذا ثقافة موسوعية، ذات مصادر متنوعة، فهو مطلع على الفلسفات الأجنبية، وملم بالفكر المعتزلي، ذلك لأننا نجد لهذا الدليل رواجا لدى مفكريهم، يقول الخياط المعتزلي[1] حاكيا عن النظام: "وجدت الحر مضاد للبرد، ووجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد من ذات أنفسهما، فعلمت أن لهما جامعا وقاهرا قهرهما على خلاف شأنهما، وما جرى عليه القهر فضعيف، وضعفه دليل على حدوثه، وعلى أن محدثا أحدثه، ومخترعا اخترعه لا يشبهه "[2]

وهكذا يظهر تأثر الماتريدي بالنظام في هذا الدليل، وهذا الأمر من بين العوامل التي دعت كثيرا من الباحثين إلى عده في المرتبة الوسط بين الأشاعرة والمعتزلة، ولا غرابة في الأمر فالهدف واحد، والكفاح مشترك ضد

---

[1] –الخَيَّاطُ عَبْدُ الرَّحِيْمِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمَانَ، شَيْخُ المُعْتَزِلَةِ البَغْدَادِيِّيْنَ، لَهُ الذَّكَاء المُفرط، وَالتَّصَانِيْفُ المهذَّبَة، وَكَانَ قَدْ طلب الحَدِيْث، وَكَتَبَ عَنْ يُوْسُفَ بنِ مُوْسَى القَطَّان وَطَبَقَته، وَهُوَ أَبُو الحُسَيْنِ، عَبْدُ الرَّحِيْمِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمَانَ، وَكَانَ مِنْ بحورِ العِلْم، لَهُ جلَالَةٌ عَجِيْبَةٌ عِنْد المُعْتَزِلَة، وَهُوَ مِنْ نُظَرَاء الجُبَّائِي، صَنّفَ كِتَاب (الاسْتدلَال) وَنقض كِتَاب ابْن الرَّاوندِي فِي فضَائِح المُعْتَزِلَة، وَكِتَاب (نقض نعت الحِكْمَة) وَكِتَاب (الرَّد عَلَى مَنْ قَالَ بِالأَسبَاب) وَغَيْر ذَلِكَ، لَا أَعرف وَفَاتَه»«سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (١٤/ ٢٢٠).

[2] – الخياط/الانتصار/تحقيق نيبرج/ط دار الكتب المصرية/ ص ٤٦/القاهرة/١٩٢٥م.

المذاهب الثنوية والفلسفات المادية، التي كان للماتريدي معها جدال مستمر، كما كان للنظام أيضا.

٤- دليل الجواهر[١] والأعراض[٢]: -

إن هذا العالم مكون من جواهر وأعراض، وهذه الجواهر تتركب من أجزاء لا تتجزأ أو جواهر فردة، وهي محدثة، وسبب ذلك تغيرها بتغير الأعراض الحالة فيها.

وإذا كانت الجواهر والأعراض محدثة، فالعالم إذن محدث، والذي أحدثه هو الله سبحانه وتعالى.

قال الماتريدي: "إن الافتراق والاتفاق جاء من قبل الأعراض، والأعراض لا توصف بالاختلاف والاتفاق؛ لأن العرض لا يقوم بالعرض، وإنما يقوم بالجوهر، وإذا ثبت حدوث الجواهر لاتصال الأعراض بها لكونها متغيرة ولأنها أيضا متصلة بها، لأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث تبعا للمبدأ الكلامي المشهور [٣]فإنه يتوصل إلى اثبات حدوث العالم.

---

[١] -الْجَوْهَر: الْفَرد الَّذِي لَا يتَجَزَّأ/ راجع كتاب " الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي/المحقق: د. مازن المبارك/ص ٧١/الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت/ط ١، ١٤١١/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

[٢] -الْعرض مَا لَا يقوم بِذَاتِهِ بل بِغَيْرِهِ/ السابق ص ٧١.

[٣] – ابن رشد/مناهج الأدلة /تحقيق د محمود قاسم /ص ١٢.

٥- دليل العلية أو السببية: -

وهو من أقدمها وأبسطها وأقواها على الأقناع وأشدها تأثيراً.

وصورته كما عرضها أبو منصور أن الموجودات لابد لها من موجد "فلا نعلم كتاب بلا كاتب ولا تفرقا إلا بمفرق وكذلك الاجتماع، وكذلك السكون والحركة، فيلزم في جملة العالم ذلك، إذ هو مؤلف مفرق، بل الأعجوبة في تأليف العالم أرفع، فهو أحق ألا يتفرق ولا يجتمع إلا بغيره، ثم كل ما في الشاهد من التأليف والكتابة يكون أحدث ممن به كان، فمشله جميع العالم، إذ هو في معنى ما ذكرت[١].

ويقول في موضع آخر: "فإن الكتابة تدل على الكاتب، وكذلك البناء والنسج والنجر والصناعات، لذلك لزم القياس في إثبات صانع العالم بالعالم، بما فيه من العجائب التي لا يحتمل كونها إلا بحكيم عليم "[٢].

ونلاحظ في هذا الدليل أن دليل العلية مبني على قاعدة مشهورة عند المتكلمين، وهي أن هذا العالم وما فيه محدث، ولابد لكل محدث من علة، وهذا المبدأ القائل بأن لكل حادث علة من مبادئ الذهن الأولى، ومن القضايا التي تكاد تتفق عليها العقول، وذلك لأن هناك مبادئ كمبدأ العلية، ومبدأ التناقض مما لا خلاف فيه بين المذاهب الفلسفية.

وهو كما تبين من القواعد الواضحة لذلك استند إليه أبو منصور في استدلاله على وجود الله، فذكر أن الذهن البشري يجزم بأن للمصنوع صانعا، ويستحيل أن تكون الصدفة العمياء، أو المادة العديمة الشعور قد خلقت هذا

---

[١] - التوحيد / ص ١٥.

[٢] - التوحيد ٢٩.

الكون بما فيه من قوانين دقيقة ومصنوعات عجيبة، فطابع الله، على صفحات الكائنات ظاهر كل الظهور، يقول الله تعالى (تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا) [الإسراء: ٤٤].

٦- دليل تناهي العالم: -

شغلت قضية نهاية العالم حيزا هاما من جهود متكلمي الإسلام على اختلاف اتجاهاتهم، فقد ذكرها البغدادي[١] في المسألة الرابعة عشرة من الأصل الثاني في كتابه (أصول الدين)[٢]، وألمع إليها الغزالي في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) [٣]، وأفاض فيها الشهرستاني عند ذكر القاعدة الأولى من كتابه (نهاية الأقدام في علم الكلام)[٤].

---

[١] -عَبْدُ القَاهِرِ بنُ طَاهِرٍ أَبُو مَنْصُوْرٍ البَغْدَادِيُّ، العَلاَّمَةُ، البَارِعُ، المُتَفَنِّنُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو مَنْصُوْرٍ البَغْدَادِيُّ، نَزِيْلُ خُرَاسَان، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَةِ، وَأَحَدُ أَعلاَمِ الشَّافِعِيَّةِ، حَدَّثَ عَنْ: إِسْمَاعِيْلَ بن نُجَيْد، وَأَبِي عَمْرٍو مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ مَطَر، وَبِشْرِ بن أَحْمَدَ، وَطَبَقَتهم، حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ، وَأَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ، وَعَبْدُ الغَفَّارِ بنُ مُحَمَّدٍ الشِّيْرُوْيِي، وَخَلْقٌ، وَكَانَ أَكبَر تَلاَمِذَةِ إِبِي إِسْحَاق الإِسْفَرَايِيْنِيّ، وَكَانَ يُدَرِّس فِي سَبْعَةَ عَشَرَ فَنّاً، وَيُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ، وَكَانَ رَئِيْساً مُحْتَشِماً مُثرياً، لَهُ كِتَاب (التَّكملَة) فِي الحسَاب، قَالَ أَبُو عثْمَان الصَّابُوْنِيّ: كَانَ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الأُصُوْلِ» سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (١٧/ ٥٧٢):

[٢] – التوحيد / ص ٦٦.

[٣] – السابق /ص ٩٠.

[٤] – مناهج الأدلة /ص ١٣.

على أنه من أفضل من عرض وتكلم عن هذا الدليل هو الكندي[١]، حيث يبني دليله على حدوث العالم على مقدمات من جملتها تناهي جرم العالم، فيقول في رسالة له:" فليس يمكن أن يكون جرم لا نهاية له، فجرم الكل ليس يمكن أن يكون لا نهاية له، فجرم الكون إذن متناه، وكل جرم يحصره الكل متناه"[٢]، هكذا جعل الكندي تناهي العالم إحدى المقدمات التي بنى عليها قوله بحدوث العالم، بل إن القول بالتناهي عنده هو نقطة البداية التي ينطلق منها لتأييد رأيه في حدوث العالم[٣].

وصورة هذا الدليل كما عرضه أبو منصور في كتابه (التوحيد):"أن العالم ذو أجزاء وأبعاض، ويعلم أكثر أبعاضه أنه حادث بعد أن لم يكن، ويعلم نماؤه واتساعه وكبره، لزم ذلك في كله، إذ لا يصير اجتماع أجزاء متناهية غير متناهية "[٤].

---

[١] – هو: أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، فيلسوف العرب، وأحد أبناء ملوكها، كان أبوه اسحق بن الصباح أميراً على الكوفة لعهد ثلاثة من الخلفاء العباسيين المهدي والهادي والرشيد، ينتهي نسبه إلى الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لم يذكر مؤرخو العرب تاريخ ميلاده بدقة، لكنهم قالوا أنه من أهل القرن الثالث الهجري، وكان من أهل البصرة، وكان عالماً بالطب والفلسفة والحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة و طبائع الأعداد و علم النجوم و وكان ملماً باللغتين اليونانية والسريانية/ راجع كتاب تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب/ تأليف محمد لطفي جمعة/ ط المكتبة العلمية/ ص١٠/ بيروت.

[٢] – رسالة الكندي في إيضاح تناهي جرم العالم/ضمن رسائل الكندي الفلسفية/ تحقيق د.محمد عبدالهادي أبوريدة/١٩٢/١/ط دار الفكر العربي/١٩٥٠م.

[٣] – مذاهب فلاسفة المشرق/ عاطف العراقي/ ط١٠/ص ٧٢/ط دار المعارف ١٩٩٢م.

[٤] – كتاب التوحيد /ص ١٢.

وإذا كان الماتريدي قد أشار إلى استحالة اجتماع أجزاء متناهية غير متناهية في الكون ،فإن الماتريدية قد تعمقوا في هذا الدليل ،اعتمادا على دورات الفلك ،وضربوا لذلك مثالا واضحا بعدد دورات الشمس ،فإنها أقل من عدد دورات القمر ،ويستحيل أن يكونا غير متناهيين لأن أحدهما أكثر من الثاني ،جاء في المصادر الماتريدية "أن العالم لو كان قديما بعد ما ظهر أنه لا يخلو عن الحوادث للزم وجود حوادث لا أول لها ، و للزم أن تكون دورات الفلك غير متناهية ،وذلك محال ،لأنه لو ثبت لكان قد انقضى مالا نهاية له ووقع الفراغ منه وانتهى ،ومن المحال الظاهر أن يتناهى ما لا يتناهى، وينقضي ما لا ينقضي ،وأيضا لو ثبت أن دورات الفلك لا تتناهي ،للزم أن يوجد عددان أحدهما أقل من الآخر ،وهما غير متناهين ،وهذا بين فاسد ظاهر البطلان .

وتوضيحه أن الشمس تدور في كل سنة مرة، والقمر يدور كل شهر مرة، فتكون عدد دورات الشمس أقل من عدد دورات القمر، فكيف يكونان غير متناهيين وأحدهما أكثر من الثاني [1].

إذن أثبت الماتريدي ومن كان على مذهبه أن العالم متناه، وكل متناه حادث، فالعالم حادث.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الدليل قد نال عناية متزايدة من الماتريدية؛ لما في القول به من الأهمية البالغة التي تتمثل في الرد على القائلين بقدم العالم، وعدم تناهيه.

---

[1] – الكمال بن أبي شريف بن الهمام/المسامرة بشرح المسايرة/ط المكتبة الأزهرية للتراث/ ص ٢١ /بتصرف/٢٠٠٦م.

إلا أن هذا الدليل في حقيقة أمره يعد برهانا رياضيا لا يدركه إلا الخاصة من العلماء، وهو برهان يقيني قطعي وليس بخطابي، ولعل الماتريدي قد أدرك أن أدلة وجود الله تجري مجرى أدوية القلب، فإن لم يكن الطبيب حاذقا، ولم يستعمل الأدوية على قدر طاقة المريض، فإنه يضر بها أكثر مما ينفع، لذلك كانت أدلة الماتريدي مختلفة متنوعة منها ما يتناسب مع الخاصة من العلماء كهذا الدليل، ومنها ما يتناسب مع العامة كبقية الأدلة المذكورة.

٧- دليل الحركة: -

يذكر الماتريدي هذا الدليل، دليل الحركة عند برهنته على حدوث الأعيان فقال: "إن الجسم لا يخلو من حركة أو سكون، وليس لهما اجتماع، فيزول من جملة أوقاته نصف الحركة ونصف السكون، وكل ذي نصف متناه، على أنهما لا يجتمعان في القدم، لزم حدث أحد الوجهين، وببطلانه، أن يكون محدثا في الأزل لزم في الآخر، وفي ذلك حدث ما لا يخلو عنه "[١].

يتجلى من خلال هذا النص أن كل موجود طبيعي ،متحرك او ساكن أو متردد بين الحالتين ،فما من شيء في هذا الكون إلا ويسكن بعد حركة ،،وإذا كان متحركا فلا يمكن أن يكون محركا لنفسه ،وإلا لزم وجوده قبل نفسه ،وهذا محال حتى الكائن الذي نقول إنه متحرك من ذاته فإنه منتظم من قوى ،ومن أعضاء يحرك أحدها الآخر "[٢]،وإذا كان هذا العالم تتداول على موجوداته الحركة والسكون ،وهي مدفوعة إلى ذلك مسخرة ،فثبت عندئذ أن هناك محركا دفعها إلى الحركة ،ومسكنا أجبرها على السكون وجعلها مترتبة في الزمان والمكان ومتعاقبة ،ومن اتصف بذلك كان حادثا ،وهو ما يريد أن يصل إليه الماتريدي .

---

[١] – التوحيد /ص ١٢.

[٢] – الطبيعة وما بعد الطبيعة / يوسف كرم /ص ١٥٣/ط مكتبة الثقافة الدينية/ط١/٢٠٠٩م.

وهكذا يتجلى دليل الحركة والسكون كيف تأسس على فكرة زمانية مرتبطة بالحدوث لدى مختلف الأوساط الكلامية [1]، ليتوصلوا بعد ذلك إلى حدوث العالم .

وهو برهان يمكن تطويره حسب مفاهيم العصر الحديث، لأن ما نتج عن حركة بعض الأجسام من طاقات ولدت الحرارة أحدثت نتائج علمية باهرة يمكن توظيفها من خلال بدائع الاختراع، وعظمة الله في الخلق لتؤدي إلى الإيمان الجازم لأنه من المستحيل على العقل البشري أن يصدق أن كوناً معجزا في حركة دائبة من الذرة إلى المجرة قد وجد نتيجة الصدفة العمياء.

٨- وجود الشر في العالم دليل على وجود الله: -

من أهم البراهين التي امتاز بها الفكر الماتريدي برهنته على وجود الله تعالى بوجود الشر في هذا العالم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى (إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ) [الحجر: ٣٨] حيث يقول:" ٠٠٠خلق ابليس وأهل المعاصي مع علمه ذلك؛ ليعلم أنه لم يخلق لمنافع نفسه، ولا لحاجة نفسه، وأن معاصيهم لا تضره، ولا تدخل نقصانا في ملكه؛ فخلقه مع علمه لما يكون منه ليعلم أنه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه، ولا لحاجته، ولكن لمنافع أنفسهم وحاجاتهم" ذلك لأن " العالم لو كان بنفسه ،لكون كل شيء لنفسه أحوالا هي أحسن الأحوال والصفات وخيرها ،فيبطل به الشرور والقبائح ،فدل ذلك على موجد وهو الله "[2].

---

[1] – البغدادي /أصول الدين/ص ٤٠/ط٢/بيروت/١٩٨٠.

[2] – كتاب التوحيد / ص ١٧.

إن هذا البرهان الذي اتخذ منه الماتريدي مسلكا للتدليل على وجود الله لم يسبق إليه بل كان فيه مبتكرا مجددا، فلقد درج الفلاسفة والمتكلمون على انتهاج سبل الخير والجمال للتدليل على وجود الله كما فعل افلاطون، أو برهان الغائية كما فعل أرسطو[١].

ولكن أبا منصور جنح إلى هذا الدليل لما له من حجة ناصعة، ذلك لأن العالم قد اشتمل على نقص وشر وقبح كما يبدوا ذلك للعقل البشري المحدود، فلو خلق نفسه، فهل كان يرضى لها بهذه النقائص والشرور والقبائح؟ إنه لو كان بنفسه لاختار أروع الأحوال وأجملها، وأبدع الصفات وأحسنها، إذن فهذا العالم كان مكونا بغيره، وهذا المكون هو الله تعالى.

وقد اقتضت حكمة الله وجود الشر لغايات حاول الماتريدي بيانها إذ ما: "من جوهر ضار إلا وفيه حكم ظاهرة، وأخرى خفية لا تستطيع العقول إدراك كنهها "[٢]، وكم من: "جوهر مر او سم إلا وفيه دواء للداء المعضل، ليعلم الناظر أن القول بالشر بالجوهر والخير خطـأ باطل، بل كل جوهر منه ضر ونفع، فيكون في ذلك أعظم آيات التوحيد "[٣].

ويبدوا أن الماتريدي كان مجددا في هذا الدليل، مما يدل على مكانته الهامة في تاريخ الفكر الإسلامي، وفي المدرسة الحنفية السنية على الخصوص، لما اتسم به من نزعة عقلية، وقدرة على الغوص في كنه الموجودات، وإدراك الأغراض منها، وتحليل أهدافها.

---

١ – مقدمة كتاب التوحيد / فتح الله خليف /٣٤.

٢ – التوحيد /ص ١٠٨.

٣ – السابق /ص ١١٠.

٩- دليل العناية أو التسخير: -

وهو أشهر الأدلة على وجود الله، وأثراها وأكثرها إقناعا، وملائمة للعقول البشرية، وقد اعتنى به القرآن، وتعددت أســاليبه فيه، وكثرت آياته حوله، فسمي بدليل الشرع.

وصورته كما رسم ملامحها الماتريدي في ثنايا كتابه "التوحيد": إن الله خلق البشر في أحسن تقويم، وسخر لهم جميع ما على وجه الأرض وبركاتها وبركات السماء "[١] فكل مظاهر الوجود تسير نحو غايات معينة، وهي مسخرة لفائدة الإنسان، وليست نتيجة الصدفة والاتفاق.

وهذه الإلمامة يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

١- خلق الله الإنسان على أبدع صورة، وفي أجمل تركيب ودقة صنع.
٢- خلق الأرض وما حوته من عجائب.
٣- خلق السماوات وما اشتملت عليه من عوالم يعجز البشر عن ذكره فضلا عن الإحاطة بها.

والمتأمل في هذه العوالم جميعا، يجد ان الله قد أحاط الإنسان بمظاهر العناية فيها، إذ هي متماشية مع ظروفه متوافقة مع أحواله، متلائمة مع حياته، ولا يمكن أن يكون هذا التآلف نتيجة الصدفة والاتفاق، إذ يستحيل على الطبيعة وحدها أن تنتج هذا الوضع، وهذا ما برهن عليه العصر الحديث، ودلت عليه العلوم المختلفة.

---

[١] - التوحيد /ص ١٧٨.

وإذا استعرضنا جميع أنواع الموجودات، بدت هذه الحقيقة المدهشة ألا وهي خدمة هذه الكائنات من أعظمها قوة إلى أحقرها شأنا للنوع الإنساني، قال تعالى (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) [النحل: ٤-٦].

فإذا فصلنا إلماعة الماتريدي إلى هذا الدليل قلنا: إن في السماء الكواكب المنتشرة، والقمر ذا المنازل والتقدير، وفيها الشمس أعظم الأجرام، لو قربت أكثر مما هو مقدر لها لأهلكت الحرث والنسل من شدة الحر، ولو كانت أصغر أو ابتعدت عن مسارها لهلك الناس من شدة البرد، ولاختلفت الأزمنة، ولاضطربت الحياة، قال تعالى (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) [يس: ٣٧].

فكل ما في الكون قد ضبطت غايته، وحدد هدفه، وتبين دوره الذي سيلعبه، قال سبحانه وتعالى (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ١٠-١١].

وإذا كان هذا شأن السماء، فشأن الأرض أعظم، ففيها السهول والجبال والمعادن والحيوانات والنبات وكلها ذات منافع عديدة، وفوائد جليلة للإنسان محور هذا الكون وقطبه، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٧٠].

ويتجلى حينئذ من خلال هذه المنزلة المرموقة التي حبا بها الله الإنسان أن ليس هناك جفوة بين الإنسان والطبيعة ،بل هي مسخرة له مهيأة للاستثمار

من قبله ،قال تعالى (أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ) [لقمان: ٢٠]

وقال سبحانه وتعالى (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ) [السجدة: ٢٧].

وقال عز وجل (وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) [النحل: ١٤].

من خلال هذا يتبين أن العالم ملائم للإنسان مسخر له، وكلما كان كذلك فهو مصنوع، وصانعه هو الله تعالى.

وخلاصة الرأي فإن الماتريدي قد استمد هذا الدليل من الكتاب الكريم الذي كان طافحا بآيات تدل على العناية الإلهية بالإنسان وتسخير المخلوقات له.

وقد أشاد بعض الباحثين بفضل سبقه إليه، ذكر د محمود قاسم :"إننا لا ننصف الماتريدي إن لم نشر إلى استخدامه لهذا الدليل الذي يعد من أقوى الأدلة لفضل جمعه بين العقل والشرع في آن واحد "[١].

١٠-دليل نظام العالم: -

ويسمى بدليل الاتقان، وبدليل التقدير، أو دليل الحكمة، إن هذا النظام البادي على الكون، والصنع المتقن، والإحكام البديع، والحساب الدقيق، ليس نتيجة قوة عمياء، ولا محض الصدفة كما يدعي ذلك الماديون، بل وراء ذلك

[١] - مقدمة مناهج الأدلة /د محمود قاسم /ص ٢١ .

قوة مدبرة عليمة، وقد ضبطت كل شيء بمقدار، وقدرت ذلك بحكمة، فأتقنت صنع كل شيء" كالأوقات من الليل والنهار والساعات، ودخول بعضها على بعض على قدر الحاجات"[1] في تنظيم عجيب

ويتضح ذلك من تفسير الماتريدي لقوله تعالى (ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ) [الملك: ٣-٤])حيث يقول :" ٠٠٠انظر في خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت أو فطور٠٠٠وإذا لم تر فيه فطورا أو شقوقا٠٠٠يدل على حكمته وعجيب تدبيره".

١١-دليل الاختراع أو الخلق: -

يعتبر دليل الاختراع من أعظم الأدلة على وجود الله، وقد اهتم به المفكرون والفلاسفة [2]بحسب بيئاتهم، وثقافاتهم، وما توصلت إليه من اكتشافات في شتى حقول المعرفة، وقد سماه الماتريدي برهان الاستدلال بالخلق، وهذا الدليل قد تكرر في آيات الكتاب الكريم.

والقرآن في هذا الدليل لا يذهب بعيدا عن الإنسان، بل يلفت نظره إلى ما تكثر مشاهدته من حوله، بداية من النظر إلى ذاته، إلى النظر في الآفاق وفي جميع المخلوقات، مثل قوله تعالى (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى

---

[1] - التوحيد /ص ٢٢.

[2] - مناهج الأدلة /ص ١٩٤.

ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ) [الغاشية: ١٧-٢٠]، فهذه دعوة إلى استقراء الموجودات، أي أنه يهتم ببيان كيف تتركب الظاهرة، وما هي الغاية منها.

ومظاهر الاختراع في الكون تفوق الحصر، كأحوال خلق الإنسان ومراحل تطوره ونموه، وخلق الأرض والمعادن والنباتات والكواكب ٠٠٠٠

يقول الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ) [البقرة: ٢٢]:"٠٠٠لما أنشأ فيكم من الأشياء ما لو تدبرتم، وتفكريم، وتأملتم، علمتم أنه لا ند له " وقال أيضاً إن تنظيم:" الأزمنة في الشتاء والصيف ٠٠٠أو تقدير السماء والأرض، أو تسيير الشمس والقمر والنجوم، أو أغذية الخلق أو تدبير معاش جواهر الحيوان فإن ذلك كله يدور على مسلك واحد، ونوع من التدبير وانساق ذلك على سنن واحدة، لا يتم بمدبرين، لذلك لزم القول بالواحد "[١].

وأكد الماتريدي على هذه الدليل في تفسيره لقوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ) [البقرة: ٢٦]:" إن الأعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق الصغير من الجثة والجسم أكبر من الكبار منها والعظام؛ لأن الخلائق لو اجتمعوا على تصوير

[١] – التوحيد /ص ٢١.

صورة من نحو البعوض والذباب، وتركيب ما يحتاج إليه من الفم والأنف والرجل واليد ما قدروا "[1].

وهكذا نبه أبو منصور على ظاهرة الخلق، سواء في الانفس او في الآفاق، وما اشتملت عليه من دقة الصنع، وإلى ظاهرة الإتقان في خلق السماوات والأرض وما فيهما، وظاهرة الخلق والاتقان تشمل شتى مظاهر الوجود مما أدركته عقولنا ومما لم تدركه بعد من هذه المظاهر، التي أحكم الماتريدي استغلالها من حيث العقل والنقل في البرهنة على وجود الله، فأحدث بذلك أثراً كبيراً في الفكر الإسلامي القديم والحديث.

١٢-دليل الفطرة: -

لقد أمرنا الله تعالى أن نحافظ على الفطرة النقية السوية، مما يلوثها ويعكر نقائها ويغير معالمها؛ سواء كان ما يلوثها هو البيئة او الأسرة، إذ ان الفطرة السليمة تقر بوجود الله تعالى؛ وذلك لأن الله تعالى خلق فيها معرفته سبحانه، وجعلها-الفطرة-تقبل الإقرار بمعرفته سبحانه، والإيمان به تعالى، خالقاً مبدعاً حكيماً لا شريك له.

يوضح الماتريدي ذلك في تفسيره لقوله تعالى (وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) [يوسف: ٣٨]قائلاً: "أي: ذلك الدِّين والملة التي أنا عليها وآبائي من فضل الله علينا وعلى الناس؛ لأنه - عَزَّ وَجَلَّ - فطر الناس على فطرة؛ يعرفون وحدانية الله وربوبيته

[1] - تأويلات أهل السنة/الماتريدي/تحقيق فاطمة يوسف الخيمي/ج١ص٧٨/ط مؤسسة ناشرون/ط١/٢٠٠٤م/بيروت لبنان.

بعقول ركبت فيهم؛ ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله وما ركب فيهم من العقول، أو ذلك الدِّين والهداية الذي أعطاهم من فضل الله؛ لكن أكثر الناس يتركون ذلك الدِّين وتلك الهداية ".

المبحث الثالث

الصفات والأسماء : -

أولاً: الصفات: -

إن وجود الله جل وعلا وصفاته، من الأمور التي يوجبها العقل البشري السليم، بل ويوقن بها من خلال التأمل والتفكر في الأنفس والآفاق[1]، فوجود الخلق واستقامتهم، وبديع صنعهم، واتقانهم، وتكاملهم، وتسخيرهم لبعضهم البعض، فكل ذلك دال على وجود الله تعالى الذي له كل صفات الجمال والجلال، والمنزه عن كل صفات النقص وآفات العيب، كما وضح الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [الفاتحة: ٢]فيرى أن الله تعالى مدح نفسه؛ ليعلم الخلق أنه تعالى مستحق للحمد والثناء بذاته، ...وأنه لا عيب يمسه، ولا آفة تحل به، فيدخل نقصان في ذلك، ولا هو مأمور بشيء، والخلق على العكس من ذلك كله.

وغالباً ما يعبر الماتريدي عن التنزيه، بالتسبيح، فالتسبيح عنده يعني التنزيه[2]، وقد ذكر الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ) [الجمعة: ١]:" والتسبيح يحتمل أوجها ثلاثة:

أحدها: تسبيح الخلقة: أنك إذا نظرت إلى كل شيء على الإشارة إليه والتعيين، دلك جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى، وعلى تعاليه عن الأشباه وبراءته عن جميع العيوب والآفات؛ فذلك من كل شيء تسبيحه.

---

[1] - الماتريدي / التوحيد / ص ٤٤.

[2] - الماتريدي/التأويلات/ الفتح/الآية ٩.

والثاني: تسبيح المعرفة، ووجه ذلك: أن يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة المعرفة؛ ليعرف الله تعالى وينزهه، وإن كان لا يبلغه عقولنا؛ ألا ترى إلى قوله: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

ولكن عندنا بواسطة إحداث نوع حياة فيه؛ إذ المعرفة بدون الحياة لا تتحقق.

والوجه الثالث: هو أن يكون التسبيح تسبيح ضرورة وتلقين، ووجهه: أن الله تعالى يُجري التسبيح على ذلك الجوهر من غير أن يكون له حقيقة المعرفة، كما أظهر من آياته وأعلامه على عصا موسى، وكما أجرى السفينة على وجه الماء، وإن لم يكن لها حقيقة المعرفة؛ وذلك تسبيح كل شيء، والله أعلم ".

والقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، لطالما كررت وأكدت على هذه الحقائق، مخاطبة العقل السليم، وموقظة الفطرة النقية؛ لمعرفة الله تعالى والإيمان به بما له من صفات الجمال والجلال وبتنزيهه عن كل نقص وقصور.

يقول الماتريدي، في تفسيره لقوله تعالى(قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]:"٠٠٠من استوصف صفات الله، فعليه أن يصف له ما في سورة الإخلاص، ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -وغيره من الخلائق سواء في ذلك الخطاب".

ففي قضية الألوهية مثلا يقول الله تعالى(أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦) [الطور: ٣٥-٣٦].

وفي قضية الوحدانية يقول الله تعالى(لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢) [الأنبياء: ٢٢].

وفي قضية القدرة يقول الله تعالى(إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤) [الأعراف: ٥٤].

وفي قضية الإرادة يقول الله تعالى(قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧) [آل عمران: ٢٦-٢٧].

وفي قضية العلم يقول الله تعالى (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩) [الأنعام: ٥٩].

وفي قضية القدم يقول الله تعالى(هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣) [الحديد: ٣].

وفي قضية الحياة يقول الله تعالى(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥) [البقرة: ٢٥٥].

وغيرها الكثير مما يشير ويبرهن على كل صفات الله تعالى.

إذن العقل والنقل يوجبان لله تعالى كل صفات الجمال والكمال، وينفيان عنه جل وعلا، كل صفة تفيد النقص والاحتياج.

وقد قسم الماتريدي وغيره، الصفات إلى:

١- الصفة النفسية: -

وهي صفة الوجود فقط، وقد تحدثنا عن وجوده تعالى، والأدلة على ذلك في المبحث السابق.

٢- الصفات السلبية: -

وهي خمسة: الوحدانية، البقاء، القدم، مخالفة الحوادث، القيام بالنفس.

٣- صفات المعاني: -

وهي الصفات التي تثبت قيام صفات المعاني بالذات الإلهية، وهي سبعة: العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الحياة[١].

٤- صفات الأفعال: -

وقد أرجعها الماتريدي إلى صفة التكوين.

٥- الصفات المعنوية: -

وهي التي توضح قيام المعاني السابقة بالذات الإلهية، ككونه عالما، وكونه مريداً، وكونه قادراً، وغيرها من الصفات، ولن نتعرض لتلك الصفات؛ لأنها ظهرت بعد الماتريدي.

---

[١] - الماتريدي/ التأويلات/ آل عمران/الآية ١.

٦- الصفات الخبرية: -

وسوف نتحدث عن بعض الصفات الخبرية كاليد، الوجه، الاستواء، وما يتعلق بهم من آراء.

الصفات بالتفصيل: -

١- صفة الوجود: -

الوجود صفة نفسية مستقلة عن الصفات السلبية، والثبوتية، وقد تحدثنا عنها بالتفصيل في المبحث السابق، ومن الثابت بداهة أن وجود الله تعالى، وجود ذاتي، أي يستمد وجوده من ذاته، ولا يستمده من فاعل خارجي، عكس جميع المخلوقات، وعكس كل ما سوى الله تعالى.

٢- الصفات السلبية: -

الصفات السلبية سميت بهذا الاسم؛ لأنها تسلب عن أذهاننا ما لا يليق بذات الله تعالى، وهي خمسة: الوحدانية، البقاء، القدم، مخالفة الحوادث، القيام بالنفس، وقد توقف الماتريدي عند صفة الوحدانية فقط، وأما البقية من الصفات السلبية فقد أشار إليهم إشارة سريعة، وقد يعود ذلك إلى اهتمامه البالغ بصفة الوحدانية[١]؛ للوقوف في وجه الثنوية[٢] والدهرية[١] والمجوس[٢]،

---

[١] - الماتريدي/التوحيد/ ص ١١٩.

[٢] - الثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين،الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس القائلين بحدوث الظلام ،والثنوية تقول بتساوي الظلمة والنور في القدم ، واختلافهما في الجوهر والفعل ،والنور عندهم فاعل للخير ،والظلمة تفعل الشر ،ومن طوائفهم :المانوية ،المزدكية ،الديصانية ،التناسخية ،المرقونية/راجع الفرق بين الفرق / ==

وأولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير، وخالق هذا غير خالق هذا[٣].

أما عن عدم الإشارة لبقية الصفات، فإنه قد يرجع إلى أن: منهجية التصنيف في علم الكلام في تلك الفترة الزمنية، لم تكن قد بلغت بعد، الدرجة القصوى من التبويب والتنظيم، وإلى ميل الماتريدي إلى الإيجاز والاختصار.

فإذا تحدثنا عن الوحدانية، نجد أنها، من أهم الصفات بعد الوجود، وقد شغلت عقول الكثير من الحكماء والفلاسفة، وقد كانت قضية التوحيد أول قضية تحدث فيه الرسل ودعوا إليها في كل الرسالات[٤]، وفي الرسالة

==

عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني/تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد/ص ٢٨٧/المكتبة العصرية

[١] – الدهري بضم الدال: الملحد الذي لا يؤمن بالآخرة، القائل ببقاء الدهر./ راجع الملل والنحل للشهرستاني/ تصحيح تعليق أحمد فهمي محمد/ ط دار الكتب العلمية/ص ٤/ بيروت لبنان.

[٢] – المجوس هم: عبدة النيران القائلون أن العالم له أصلين، نور وظلمة، قال قتادة: الأديان خمسة: أربعة للشيطان و واحد للرحمن، وقيل المجوس في الأصل النجوس؛ لتدينهم باستعمال النجاسات، والميم والنون يتعاقبان، والمجوس أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علم النجوم، فإنه لما ولد عيسى جاء جماعة منهم بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم، وجاءوا إلى هيرودوس يسألونه، وقالوا: جئنا لنسجد له، وحدثوه بما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره/ راجع الملل والنحل/ ص ٢٥٧ بالهامش.

[٣] – الماتريدي/التأويلات /المؤمنون/الآية٩١، الصف/الآية١٠،١١.

[٤] – الماتريدي/التأويلات/ إبراهيم/الآية ٥.

المحمدية، أول ركن هو الشهادة بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقد جعلت هذه الكلمات، رأس الإيمان ومفتاح العقيدة وسبيل النجاة الوحيد.

وقد اهتم الماتريدي بهذه القضية أيما اهتمام، لدرجة أنه ألف كتابا، وأسماه "التوحيد"، درس فيه قضية التوحيد بأبعادها المختلفة، وأزال ما علق بها من أوشاب الانحراف، وتحدث عن مختلف الأدلة، واستنبط الكثير منها رداً على الفرق والطوائف المختلفة، وخصوصا "الثنوية".

يقول الماتريدي عند ايضاحه لهذه الصفة في كتابه "التوحيد":" فالله واحد في علوه وجلاله، وواحد الذات، محال أن يكون له في ذاته مثال؛ إذ ذلك يسقط التوحيد، وواحد الصفات يتعالى عن أن يشركه فيه أحد في حقائق ما وصف به"[١].

إذن يتضح أن الوحدة في الذات تستلزم الوحدة في الأفعال.

مع ملاحظة أن مفهوم الوحدانية يشمل ما يلي:

أولاً: الله تعالى واحد في ذاته، وهذا يشمل

- لا تعدد في الآلهة [٢]، فليس هناك ذات تشبه ذات الله جل وعلا في كمالها وجلالها[٣].
- لا تركيب في الذات الإلهية[٤]، فالله تعالى لا يتركب من شيء، ولا يتحد بشيء، ولا يحل بشيء.

---

[١] – الماتريدي/ التوحيد/ ص ١١٩.

[٢] – الماتريدي / تأويلات أهل السنة/ البقرة /الآية ١٢٩.

[٣] – السابق/ البقرة / الآية ١٦٣.

[٤] – السابق/ الإخلاص/ الآية ١.

ثانياً: الله تعالى واحد في صفاته، وهذا يشمل:

- لا تعدد في صفة من صفات الله تعالى، فلا قدرتين أو علمين؛ لأن كل صفة من صفاته تعالى، هي الكمال المطلق، فلا حاجة لتعددها.
- لا تشابه بين صفات الخالق والمخلوق؛ فالله تعالى منزه عن الشبه[1].

ثالثاً: الله تعالى واحد في أفعاله، فلا يقبل المساعدة، أو المشاركة[2]، أو المساندة، وكل ما في الكون فهو أثر من آثار القدرة الإلهية[3].

رابعاً: الله تعالى هو وحده المعبود الحق[4]، فيجب أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يجحد، وأن يذكر فلا ينسى، وقد وضح الماتريدي سبب العبودية لله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى (وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩) [المزمل: ٨-٩] قائلاً-ما معناه-لا معبود يستحق العبادة إلا الله تعالى، والذي يقود الإنسان إلى عبادته تعالى هو الخوف والرجاء، فالله بيده النعيم والبلايا، فالخوف من قدرته وبطشه، والرجاء في خزائن فضله ونعمه، هو الذي يؤدي بنا إلى عبادته سبحانه وتعالى.

وهذا يشمل اتجاهين:

- اختصاص الله تعالى بالعبادة، فلا يصرف شيء منها لغيره تعالى.

---

[1] – السابق/ الإخلاص/ الآية ٢.

[2] – الماتريدي/التأويلات/ المعارج/الآية ٤٠.

[3] – الماتريدي/التوحيد/ ص ١٩.

[4] – الماتريدي/التأويلات/ الإخلاص/ الآية ٤.

- تجنب الرياء، وهو الشرك الأصغر.

ووحدة الذات معناها نفي تعدد الآلهة، واستحالة التركيب في الذات، ووحدة الأفعال معناها، التفرد بالخلق والإيجاد، ووحدة الصفات معناها، ألا يشترك أحد فيما وصف به تعالى.

براهين الوحدانية: –

- إحكام صنع العالم[١]، وبديع التقدير والترتيب والتنظيم[٢]، وحسن تسيير الشمس والقمر والأفلاك، وترتيب أغذية الخلق، فكل ذلك يدل على تفرد إله واحد عالم قادر حكيم بخلق العالم.
- عدم وجود كائن واحد في الطبيعة، يرجع بجوهره إلى معنى واحد من الضرر أو النفع، أو النعمة أو البلاء٠٠٠٠وذلك يدل على خالق واحد عالم قادر حكيم مدبر مريد[٣]؛ إذ لو تعددت الآلهة، لحصل التناقض، لكنه لم يحصل، فانتفى ما أدى إليه، وهو التعدد، وثبتت الوحدانية.
- أنه تعالى جعل للخلق في الليل والنهار منافع، وجعل بعضها متصلة ببعض، متعلقة مع تضادها، فدل على أن الخالق واحد[٤].

---

[١] – الماتريدي/ تأويلات أهل السنة/ البقرة/الآية ١٦٤.

[٢] – الماتريدي/التوحيد/ص ١٢٤.

[٣] – السابق/ ص ١٢٩.

[٤] – الماتريدي/ تأويلات أهل السنة/ البقرة/ الآية١٦٤.

- الإنسان نفسه، لا يملك تدبير أمره، ولا إصلاح ما فسد فيه ومنه، وذلك يدل على أن هناك من خلقه ودبره وملك أمره، ولابد أن يكون واحد قادر عالم حكيم مدبر مريد، ألا وهو الله تعالى الواحد.
- إرسال الله تعالى، الرسل جميعا، على اختلاف الأزمنة والأمكنة، بالبراهين والدلائل، على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، ولو كان هناك تعدد في الآلهة، لاختلفت الرسل فيما بينهم، وفيما أتوا به، لكنه لم يحدث، فانتفى ما أدى إليه وهو تعدد الآلهة، وثبتت الوحدانية لله تعالى.
- لو فرضنا وجود أكثر من إله، وكل منهما اتصف بصفات الإله، فالبديهي أن صفات الاول غير الثاني، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى الاختلاف في الأفعال، فيظهر الاضطراب والتناقض[1]، لكن ذلك لم يحدث، فبطل ما أدى إليه، وهو التعدد، وثبتت وحدانية الإله[2]، يقول الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤) [البقرة: ١٦٤]:" اختلافهما لنقصانهما وزيادتهما، إذ ماينتقص من أحدهما يزداد في الآخر، فدل انتقاصهما وزيادتهما على أن منشئهما واحد؛ لأنه لو كان من اثنين لمنع كل واحد منهما صاحبه من الزيادة

[1] – الماتريدي/التوحيد/ ص٢٠.

[2] – الماتريدي/ التأويلات/ آل عمران/ الآية١٨٥.

والنقصان، وبالله التوفيق، ولتغير التدبير، ولا يجري كل عام الأمر فيه على ما جرى عليه في العام الأول».

- لو كان مع الله تعالى إله آخر، لأظهر الآخر حكمته، وفصل فعله عن فعل الله تعالى؛ ليعلم الناس قدرته وسلطانه[1] هو، وعجز وضعف الثاني[2]، لكن ذلك لم يحدث، فانتفى ما أدى إليه وهو التعدد، وثبتت الوحدانية، وقد وضح الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى. ((مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١) [المؤمنون: ٩١].

وهكذا يتساند العقل والنقل عند الماتريدي وصولا إلى الوحدانية وأدلتها، مظهراً مكانته الفكرية الكبيرة في الفكر السني عامة، وفكر ما وراء النهر بشكل خاص.

ومن الجدير بالذكر، أن الاهتمام الكبير من الماتريدي بقضية الوحدانية، كان الهدف منه، الوقوف في وجه الثنوية، تلك الفرقة التي كان لها وجود كبير في بلاد ما وراء النهر في تلك الفترة الزمنية.

---

[1] – السابق/الإسراء/الآية٤٢.

[2] – السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ ص ٧.

٣- صفات المعاني: -

ليست الوحدانية هي الصفة الوحيدة التي اهتم بها الماتريدي؛ بل إن صفة العلم كانت أيضا من الصفات التي نالت اهتماما كبيرا عنده.

- **صفة العلم: -**

ولا يخفى أن صفة العلم حازت اهتماما كبيرا عند جميع المهتمين؛ وذلك يمكن أن يرجع إلى قضية انكار الفلاسفة لعلم الله تعالى بالجزئيات، وأنه تعالى لا يعلم إلا الكليات.

يرى الماتريدي أن الله تعالى عالم بذاته[١]، وأنه تعالى يعلم الجزئيات والكليات، وأنها لا يجوز عليه الجهل[٢]؛ لأنه تعالى منزه عن كل نقص، والجهل نقص، لذا فهو محال عليه تعالى.

وقد استدل الماتريدي عقلا، على علم الله تعالى بـ:

١- بالكون؛ فالكون، بما فيه من إبداع وترتيب عجيب صنع[٣]، وعدم اختلال وعدم اضطراب لهو خير شاهد ودليل على كون خالقه واحد عالم حكيم مدبر مريد، ألا وهو الله تعالى.

إذن، إحكام الصنعة، روعة البناء، دقة الصنع، لهي دلالات واضحة على صفة العلم.

---

[١] - الماتريدي/التأويلات/النحل/الآية٦٩.

[٢] - الماتريدي/التوحيد/ ص١٣٠.

[٣] - الماتريدي/ تأويلات أهل السنة/آل عمران/١٨٥.

٢- بالجواهر والأعراض؛ يرى الماتريدي، أن علم الله تعالى بطبائع الأشياء من الجواهر والأعراض، وتصريفها من حال إلى حال، وتغيرها من أمر لأخر، يدل على أن ورائها مدبر، ومرجح، عليم حكيم، ألا وهو الله تعالى.

إذن الماتريدي، يرى أن علم الله تعالى، صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها كشف الأمور والإحاطة بها، على ما كانت، وتكون، وما ظهر، وما بطن، وما يسر، وما يعلن[١]، من غير سبق خفاء أو جهل عليه تعالى.[٢]

- **صفة الكلام: -**

أيضا من صفات المعاني التي نالت قسطا كبيرا من الاهتمام، مثل صفة العلم، هي صفة الكلام؛ وذلك لما يترتب عليها من قضية خلق القرآن، وما دار حولها من جدل ومحن.

إذن لصفة الكلام تاريخا حافلا، وقد كان الماتريدي مستحضرا هذا التاريخ الحافل، عند حديثه عن صفة الكلام؛ فتحدث عن هذه الصفة بصورة تقريرية تتضح من خلال إقراره بـ:

أ- اتفاق الأنبياء جميعا، على أن الله تعالى متكلم.
ب-تواتر اتفاق الأنبياء على أن الله تعالى متكلم.
ت-كلام الله تعالى لا أحد يعرف كنهه.[٣]

---

[١] - الماتريدي/تأويلات أهل السنة/ يوسف/ الآية١٠٠.
[٢] - التفتازاني/ شرح العقائد النسفية/ ط المثنى/ص ٨٣-٨٤/ط١/١٣٢٩هـ.
[٣] - الماتريدي / كتاب التوحيد/ ٥٧.

إذن أجمعت الأديان على أن الله تعالى متكلم؛ بدليل:

أ- كتبه المنزلة على رسله.

ب-الله تعالى إله، والكلام صفة كمال، وعدم الكلام صفة نقص، والإله يجب له الكمال، ويستحيل عليه النقص، فثبت له الكلام، وانتفى عنه عدم الكلام.

ت-الأدلة النقلية، وهي كثيرة، منها، قوله تعالى(وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨) [البقرة: ١١٨] وقوله تعالى (أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥) [البقرة: ٧٥].

على أن الماتريدي، يرى، أن سيدنا موسى سمع ما يدل على كلام الله تعالى[١]- كقولنا: سمعت علم فلان، أي سمعت ما يدل على علمه- ولم يسمع الكلام النفسي؛ لأنه يستحيل عند الماتريدي سماع ما ليس بصوت.

ومن الواضح، أن رأي الماتريدي في هذه الجزئية، قريب من رأي المعتزلة.

لكن ما هو الكلام النفسي؟

[١] - السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ص ٢٠.

الكلام النفسي هو:

المعنى القائم بالنفس، وبذات المتكلم، ليس بحروف ولا أصوات، وإنما هو القول يجده العاقل في نفسه، ويجيله في خلده، تارة إخبارا عن أمور رآها على هيئة وجودها، أو سمعها من مبدئها إلى منتهاها، وتارة حديثاً بأمر ونهي، ووعد ووعيد، لأشخاص على تقدير وجودهم ومشاهدتهم، ثم يعبر عن تلك الأحداث وقت المشاهدة[١].

إذن: الكلام النفسي، ليس هو الكلام الحقيقي

الكلام الحقيقي – فقد – دليل وإشارة على الكلام النفسي.

كما أن الكتابة والخطوط دلالة على الكلام النفسي، كما أن الكلام الحقيقي دليل على الكلام النفسي.

إذن الإنسان يسمى متكلما باعتبارين:

١–الكلام النفسي (بلا صوت ولا حرف)

٢–الكلام الحقيقي (الصوت والحرف).

فإذا انتقلنا من الإنسان إلى الله تعالى، وجدنا أن كلام الله يطلق على المعنى النفسي (الصورة العلمية للكلام)، وهو أيضاً (الكلمات المترتبة على العلم)[٢]، وهذا هو المعنى القائم بذاته تعالى[٣]، وهو الأزلي القديم، الذي لا يتغير

---

[١] – الشهرستاني/ نهاية الأقدام/ ص٣٢٢.

[٢] – البياضي/ إشارات المرام من عبارات الإمام/ ص١٧١.

[٣] – الماتريدي/ التأويلات/ يس/الآية٣٥،٣٤.،فصلت/الآية ٤٣.

بتغير العبارات، ولا يختلف باختلاف الدلالات، وهو المقصود عند وصف كلام الله تعالى بالقدم، وهو الذي يطلق عليه كلام الله حقيقة.

إذن: كلام الله النفسي، قديم، وهو صفة أزلية قديمة قائمة بذات الله جل وعلا.

بينما الكلام اللفظي، من أمر ونهي وخبر، فحادث ومخلوق؛ لأن الألفاظ تنقضي بمجرد النطق بها. (والأشاعرة متفقون في ذلك مع الماتريدية)

وبعبارة أخرى: القرآن معانيه قديمة، وهي ثابتة لدى الله تعالى، ثم يخلق الله ما يدل عليها من الدلالات كالكتب السماوية (الماتريدية والأشاعرة) (المعتزلة يقولون: القرآن كلام الله المخلوق، ليس قائما بذاته تعالى، بل خارج عن ذاته تعالى، يخلقه الله في محل، فيسمع في ذلك المحل).

ونختم هذه الجزئية بعبارة ابن رشد الواضحة السهلة:"...أما الحروف التي في المصحف، فإنما هي من صنعنا بأذن الله، وإنما وجب لها التعظيم؛ لأنها دالة على اللفظ المخلوق لله، وعلى المعنى الذي ليس بمخلوق، ومن نظر على اللفظ دون المعنى، أعني لم يفصل الأمر، قال إن القرآن مخلوق، ومن نظر إلى المعنى الذي يدل عليه اللفظ قال إنه غير مخلوق، والحق هو الجمع بينهما"[1]

ومما هو جدير بالذكر، أن الماتريدي، يمنع جواز سماع الكلام النفسي؛ وإنما الذي يسمعه هو ما يدل عليه.

[1] – ابن رشد / مناهج الأدلة/ ص ١٦٥.

الأشعري، يجوز سماع الكلام النفسي؛ لأنه موجود، وكل موجود يجوز سماعه، أو رؤيته، كل على حسب خصائصه.

صفة التكوين: –

انفرد الفكر الماتريدي بصفة التكوين، وهي صفة قديمة ترجع إلى صفات الفعل، وتغاير الصفات السبع المعروفة: العلم، القدرة، الإرادة، الحياة، السمع، البصر، الكلام.

التكوين عبارة عن: مبدأ إخراج المعدوم، من العدم إلى الوجود، ليكون كل شيء كائنا به وقت وجوده، على حسب علمه تعالى وإرادته، بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان[١].

ويرى الماتريدي أن صفة التكوين، مرادة على حقيقة الكلمة من غير تشبيه ولا تعطيل[٢]، على أن التكوين إذا تعلق بالحياة، سمي إحياء، وإذا تعلق بالرزق سمي ترزيق، وهكذا[٣].

وقد يظن البعض أن القدرة والإرادة كافيتان لوجود الأشياء، إلا أن الماتريدي، يرى أن: القدرة والإرادة بدون التأثير لا يكفيان لوجود الأثر؛ وأن التأثير إنما يكون بصفة التكوين[٤].

---

١ – الماتريدي/ تأويلات أهل السنة/ آل عمران/ الآية ١٩.

٢ – قاضي زاده/ نظم الفرائد وجمع الفوائد/ ط القاهرة/ص ٢٠/ط١/١٣١٧هـ.

٣ – السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ ص ١٧.

٤ – كمال الدين البياضي/ إشارات المرام من عبارات الإمام / ص ٢١٧.

والتكوين، أخص من القدرة مطلقاً؛ لأن القدرة متساوية النسبة إلى جميع المقدورات، أما صفة التكوين فهي خاصة بما يدخل من هذه الأشياء في حيز الوجود.

أدلة الماتريدي على قدم صفة التكوين: -

١- أن الله تعالى هو مكون الأشياء[١]، فمن الواجب إذن، ان تكون له صفة تدل على تكوينه تعالى للأشياء، فالتكوين هو هذه الصفة[٢].

٢- أنه وصف ذاته تعالى بأنه الخالق، فلو لم يكن في الأزل خالقا، للزم الكذب، لكن الكذب محال، فمحال ما أدي إليه، وثبت التكوين وقدمه[٣].

٣- لو كان التكوين حادثا، فإما بتكوين آخر، فيلزم التسلسل[٤]، وهو باطل، فبطل ما أدي إليه، وإما بدون تكوين آخر، فيستغني المحدث عن الحادث، وهو باطل، لما فيه من تعطيل الصانع.

٤- أن العادة الإلهية جارية بإيجاد الأشياء بكلمة أزلية، هي، كن[٥]، ولا نعني بالتكوين إلا هذه اللفظة.

٥- التكوين في الأزل، صفة كمال، فلو خلا عنها الله تعالى، لكان نقصاً، والنقص محال على الله تعالى[٦].

---

[١]- الماتريدي/التأويلات/النحل/الآية ٤٠.

[٢] - الماتريدي / التوحيد/ ٤٧.

[٣] - السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ ص ١٧.

[٤] - التفتازاني/ العقائد النسفية/ ص ٩٧.

[٥] - الماتريدي/ التأويلات/ الأعراف/الآية ٥٤،٥٥.

[٦] - الإيجي/ شرح المواقف/ط مكتبة الإيمان/ ج٢/ص٩٣ بتصرف/ط١/٢٠١٧م.

٤ -الصفات الخبرية: -

الخلاف بين مفكري الإسلام لم يتوقف عند صفات المعاني، بل شمل ايضاً الصفات الخبرية، كالاستواء، اليد، الوجه، العين.

فقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية، تصف الله تعالى بصفات شبيهة بصفات المخلوقات، مثل إضافة اليد، والوجه، العين، إلى الله تعالى، مثل قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٠) [الفتح: ١٠]، (وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨) [الطور: ٤٨]وغيرهما، فكيف نفهم هذه النصوص؟

إن المسلمين تجاه هذه النصوص على اتجاهات أربع، وهي:

التفويض – التشبيه -التأويل -الإثبات بضوابط.

أولاً: التفويض: -

غالبية المسلمين الذين تقبلوا القرآن الكريم والسنة النبوية بقبول حسن، وآثروا صحة الاعتقاد وكثرة العمل، وأبعدوا عقولهم عن الجدال والخوض في المتشابهات -غالبية هؤلاء – أدركوا أن العقل البشري قاصر عن إدراك حقيقة الذات الإلهية وصفاتها، فتوقفوا عن الخوض في تفاصيل هذه الصفات، وفوضوا الأمر فيها، والعلم بها وبتفاصيلها، لله سبحانه وتعالى.

يقول الخازن في تفسيره:" قال: كنا عند مالك بن أنس[1] فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك، وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى، كما

---

[1] –مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ المَدَنِيُّ، هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، حُجَّةُ الأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْل بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحَ بنُ عَوْفِ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ شَدَّادِ بنِ زُرْعَةَ، وَهُوَ حِمْيَرُ الأَصْغَرُ الحِمْيَرِيُّ، ثُمَّ الأَصْبَحِيُّ، المَدَنِيُّ، حَلِيْفُ بَنِي تَيْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَهُم حُلَفَاءُ عُثْمَانَ أَخِي طَلْحَةَ ابنِ عُبَيْدِ اللهِ أَحَدِ العَشْرَةِ

وَأُمُّـهُ هِـيَ: عَالِيَـةُ بِنْـتُ شَرِيْكٍ الأَزْدِيَّـةُ، وَأَعمَامُـه هُم: أَبُـو سُـهَيْلٍ نَـافِعٌ، وَأُوَيْـسٌ، وَالرَّبِيْـعُ، وَالنَّضْرُ، أَوْلاَدُ أَبِي عَامِرٍ، وَقَدْ رَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ: وَالِدِه أَنَسٍ، وَعَمَّيْهِ؛ أُوَيْسٍ وَأَبِي سُهَيْلٍ، وَقَالَ: مَوْلَى التَّيْمِيِّينَ، وَرَوَى أَبُو أُوَيْسٍ عَبْدُ اللهِ عَنْ عَمِّهِ الرَّبِيْعِ، وَكَانَ أَبُوْهُم مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِيْنَ، أَخَذَ عَنْ: عُثْمَانَ، وَطَائِفَةٍ، مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَى الأَصَحِّ: فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَنَشَأَ فِي صَوْنٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَتَجمُّلٍ، وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حَدْثٌ بُعَيْدَ مَوْتِ القَاسِمِ، وَسَالِمٍ، فَأَخَذَ عَنْ: نَافِعٍ، وَسَعِيْدٍ المَقْبُرِيِّ، وَعَامِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ المُنْكَدِرِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ دِيْنَارٍ، وَخَلْقٍ سَنَذْكُرُهُم عَلَى المُعْجَمِ، وَإِلَى جَانِبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم مَا رَوَى عَنْهُ فِي (المُوَطَّأِ) ، كَمْ عَدَدُهُ، وَهُمْ: إِسْحَاقُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَيُّوْبُ بنُ أَبِي تَمِيْمَةَ السِّخْتِيَانِيُّ عَالِمُ البَصْرَةِ أَيُّوْبُ بنُ حَبِيْبٍ الجُهَنِيُّ مَوْلَى سَعْدِ بنِ مالك، إِبْرَاهِيْمُ بنُ عُقْبَة، إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي حَكِيْمٍ، إِسْمَاعِيْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَعْدٍ ، ثَوْرُ بنُ زَيْدٍ الدِّيْلِيُّ، جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ، حُمَيْدٌ الطَّوِيْلُ، حُمَيْدُ بنُ قَيْسٍ الأَعْرَجُ، خُبَيْبُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، دَاوُدُ بنُ الحُصَيْنِ، دَاوُدُ أَبُو لَيْلَى بنُ عَبْدِ اللهِ فِي القِسَامَةِ، رَبِيْعَةُ الرَّأْيُ، زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ، زَيْدُ بنُ رَبَاحٍ، زِيَادُ بنُ سَعْدٍ /راجع سير أعلام النبلاء/المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي/المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط/ج٨/ص٤٨/الناشر : مؤسسة الرسالة/الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

وصف نفسه، ولا يقال له كيف، وكيف، عنه مرفوع، وأنت رجل سوء؛ صاحب بدعة، أخرجوه، فأخرج الرجل.

وفي رواية يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل، فقال: يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه؟

فأطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج.

روى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال: ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه.

قال البيهقي: والآثار عن السلف[1] في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة، يدل مذهب الشافعي[2] رضي الله تعالى عنه وإليه ذهب

---

[1] –السَلَفى: بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم/ راجع كتاب "الأنساب"/المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد/المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره/ص ١٦٨/٧/الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

[2] –أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوئ بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهَمَيْسَع بن يشخب بن بيت بن سلامان بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن [صلى الله عليهما وسلم]، قال أبو عبد الله الزبير بن بكار في كتاب نسب قريش عن بعض أهل ==

أحمـــــــــــــــد بـــــــــــــــن حنبـــــــــــــــل[1]

==

العلم، قال: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف، فهاشم والمطلب يد وهما البدران، وعبد شمس ونوفل يد وهما الأبهران، وكانت العرب تسمي هاشما والمطلب وعبد شمس ونوفلا أقداح النضار، فإن دهمهم غيرهم اجتمعوا فصاروا يدا واحدة، فمات هاشم بغزة من الشام، وهلك المطلب بردمان من اليمن»«منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، ولد سنة خمسين ومائة، ومات في آخر يوم من رجب وهو يوم الجمعة قبل الصلاة، ودفن في ذلك اليوم بعد العصر سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة. راجع كتاب "منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد"/المؤلف: أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي /المحقق: محمود بن عبد الرحمن قدح/الناشر: بدون ناشر/ص ١٩٨/ (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)/الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

[1] – هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن [شيبان بن ذهل] بن ثعلبة بن عُكابة بن [صعب] بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن [أفصى] بن دُعْمِيّ بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدِّ بن أُدَد بن الهُمَيْسَع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزار بن معد، ولد نزار مضرَ وإياداً وربيعةً وانماراً. قال: وكان يقال: مضر وربيعة الصريحان، ويروى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا مضر"، صنف أحمد في التفسير، والناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر في كتاب الله تعالى، وجوابات القرآن، والتاريخ، والرد على الجهمية، وفضائل الصحابة، والمناسك الكبير والصغير، وكتاب الزهد، والرد على الزنادقة في دعواهم التناقض على القرآن، وحديث شعبة ... وغير ذلك من التصانيف، قال حرملة: سمعت ==

والحسن بن الفضل البجلي[1] ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي[2].

==

محمد بن إدريس الشافعي يقول: خرجت من العراق وما خلفت بها أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل. راجع كتاب" منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد" ص ٢٣٤.

[1] – هو: الحُسَيْنُ بنُ الفَضْلِ بنِ عُمَيْرٍ أَبُو عَلِيٍّ البَجَلِيُّ، العَلاَّمَة، المفسِّر، الإِمَام، اللُّغَوِيّ، المُحَدِّث، أَبُو عَلِيٍّ البَجَلِيّ الكُوْفِيّ، ثُمَّ النَّيْسَابُوْرِيّ، عَالِم عصره، وُلِدَ قَبْل الثَّمَانِيْنَ وَمئَة، وَسَمِعَ: يَزِيْدَ بن هَارُوْن، وَعَبْد اللهِ بن بَكْر السَّهْمِيّ، وَالحَسَن بن قُتَيْبَة المَدَائِنِيّ، وَشَبَابَة بن سَوَّار، وَأَبَا النَّضْرِ هَاشِم بن القَاسِم، وَهوذَة بن خَلِيْفَة، وَإِسْمَاعِيْل بن أَبَانٍ، وَطَائِفَة، حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْد اللهِ بن المُبَارَكِ، وَمُحَمَّد بن صَالِحِ بن هَانِئ، وَمُحَمَّد بن القَاسِم العَتَكِيّ، وَمُحَمَّد بن عَلِيّ الْعدْل، وَعَمْرو بن مُحَمَّدِ بنِ مَنْصُوْر، وَأَحْمَد بن شُعَيْبٍ الفَقِيْه، وَمُحَمَّد بن يَعْقُوْبَ بن الأَخْرَم، وَآخَرُوْنَ، قَالَ الحَاكِمُ: الحُسَيْن بن الفَضْلِ بنِ عُمَيْرِ بنِ قَاسم بن كَيْسَان البَجَلِيّ، المفسِّر، إِمَام عصره فِي معَانِي القُرْآن، أَقدمه ابْن طَاهِر مَعَهُ نَيْسَابُوْر، وَابتَاع لَهُ دَار عَزْرَة، فسكنهَا، وَهَذَا فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمائَتَيْنِ، فَبقي يُعلّم النَّاس، وَيُفْتِي فِي تِلْك الدَّار إِلَى أَنْ تُوُفّي، وَدُفِن فِي مَقْبَرَة الحُسَيْن بن مُعَاذٍ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَهُوَ ابْن مئَة وَأَربع . «سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (١٣/ ٤١٤):

[2] –الخَطَّابِيُّ أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، اللُّغَوِيُّ، أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ (١) بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ خَطَّابٍ البُسْتِيُّ، الخَطَّابِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وُلِدَ: سَنَةَ بِضْعَ عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَسَمِعَ مِنْ: أَبِي سَعِيْدٍ بنِ الأَعْرَابِيّ بِمَكَّةَ، وَمن إِسْمَاعِيْلَ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَّار وَطبقتِه بِبَغْدَادَ، وَمن أَبِي بَكْرٍ بنِ دَاسَة (٢) وَغَيْرِهِ بِالبَصْرَةِ، وَمن أَبِي»العَبَّاس الأَصَمّ، وَعِدَّة بِنَيْسَابُوْرَ ،وَعُنِي بِهَذَا الشَّأْن مَتْناً وَإِسْنَاداً، وَرَوَى أَيْضاً عَنْ: أَبِي عَمْرِو بنِ السَّمَّاكِ، وَمُكْرَمٍ القَاضِي، وَأَبِي عُمَرَ غُلاَم ثَعْلَب، وَحَمْزَة بنِ مُحَمَّدٍ العَقَبِي، وَأَبِي بَكْرٍ النَّجَّاد، وَجَعْفَر بن مُحَمَّدٍ الخُلْدِيّ، وَأَخَذَ الفِقْهَ عَلَى مَذْهَب الشَّافِعِيّ عَنْ: أَبِي بَكْرٍ القَفَّالِ الشَّاشِي، وَأَبِي عَلِيٍّ بنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنُظَرَائِهِمَا، حَدَّثَ عَنْهُ:
==

قال البغوي أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد تقدم. وروى عن سفيان الثوري[1]

==

أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ – وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِهِ فِي السِّنِّ وَالسَّنَد –، وَالإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الإِسْفَرَايِيْنِيّ ، وَأَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الرَّزْجَاهِيُّ ، وَالعَلاَّمَةُ أَبُو عُبَيْدٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الهَرَوِيّ، وَأَبُو مَسْعُوْدٍ الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الكَرَابِيْسِيّ، وَأَبُو ذَر عَبْدُ بنُ أَحْمَدَ، وَأَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ البَلْخِيّ الغَزْنوِي، وَجَعْفَر بن مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ المَرُّوْذِيّ المُجَاور، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ الغزنوِي المُقْرِئ، وَعَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ السِّجْزِيّ الفَقِيْه، وَمُحَمَّدُ بنُ عَلِيّ بنِ عَبْدِ المَلِكِ الفَارِسِيّ الفَسَوِيّ، وَأَبُو الحُسَيْنِ عَبْدُ الغَافِرِ بنُ مُحَمَّدٍ الفَارِسِيّ، وَطَائِفَةٌ سِوَاهُم. راجع سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (١٧/ ٢٣).

[1] –سُفْيَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيُّ، ابْنِ حَبِيْبِ بنِ رَافِعِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَوْهِبَةَ بنِ أُبَيّ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُنْقِذِ بنِ نَصْرِ بنِ الحَارِثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَامِرِ بنِ مِلْكَانَ بنِ ثَوْر، وَكَذَا نَسَبَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ خَلَفٍ التَّيْمِيّ، غَيْرَ أَنَّهُ أَسقَطَ مِنْهُ مُنْقِذاً، وَالحَارِثَ، وَزَادَ بَعْدَ مَسْرُوْقٍ حَمْزَةَ، وَالبَاقِي سَوَاءٌ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ نَسَبَهُ: الهَيْثَمُ بنُ عَدِيّ، وَابْنُ سَعْدٍ، وَأَنَّهُ مِنْ ثَوْرِ طَابِخَةَ، وَبَعْضُهُم قَالَ: هُوَ مِنْ ثَورِ هَمْدَانَ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، إِمَامُ الحُفَّاظِ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ فِي زَمَانِهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الثَّوْرِيُّ، الكُوْفِيُّ، المُجْتَهِدُ، مُصنِّفُ كِتَابِ (الجَامِعِ) ، وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِيْنَ اتِّفَاقاً، وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حَدَثٌ بِاعتنَاءِ وَالِدِه المُحَدِّثِ الصَّادِقِ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيّ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّعْبِيّ، وَخَيْثَمَةَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ثِقَاتِ الكُوْفِيِّيْنَ، وَعِدَادُهُ فِي صِغَارِ التَّابِعِيْنَ، رَوَى لَهُ: الجَمَاعَةُ السِّتَّةُ فِي دَوَاوِيْنِهِم، وَحَدَّثَ عَنْهُ: أَوْلاَدُهُ؛ سُفْيَانُ الإِمَامُ، وَعُمَرُ، وَمُبَارَكٌ، وَشُعْبَةُ بنُ الحَجَّاجِ، وَزَائِدَةُ، وَأَبُو الأَحْوَصِ، وَأَبُو عَوَانَةَ، وَعُمَرُ بنُ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيُّ، وَآخَرُوْنَ،وَمَاتَ: سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ، مُعْجَمُ شُيُوْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ: إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ عُقْبَةَ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ المُنْتَشِرِ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ مُهَاجِرٍ، وَإِبْرَاهِيْمُ

==

والأوزاعـــي [1]

==

بنُ مَيْسَرَةَ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ مَزْيَدٍ الخُوْزِيُّ، وَأَجْلَحُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وَآدَمُ بنُ سُلَيْمَانَ، وَأُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، وَإِسْرَائِيْلُ أَبُو مُوْسَى، وَأَسْلَمُ المِنْقَرِيُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ المَخْزُوْمِيُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ السُّدِّيُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ كَثِيْرٍ، وَالأَسْوَدُ بنُ قَيْسٍ، وَأَشْعَثُ بنُ أَبِي الشَّعْثَاءِ، وَالأَغَرُّ بنُ الصَّبَّاحِ، وَأَفْلَتُ بنُ خَلِيْفَةَ، وَإِيَادُ بنُ لَقِيْطٍ، وَأَيُّوْبُ السِّخْتِيَانِيُّ، وَأَيُّوْبُ بنُ مُوْسَى، وَالبَخْتَرِيُّ بنُ المُخْتَارِ، وَبُرْدُ. راجع "سير أعلام النبلاء – ط الرسالة" (٧/ ٢٢٩):

[1] –الأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرِو بنِ يُحْمَدَ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، وَعَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ، أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ، كَانَ يَسْكُنُ بِمَحَلَّةِ الأَوْزَاعِ، وَهِيَ العُقَيْبَةُ الصَّغِيْرَةُ، ظَاهِرَ بَابِ الفَرَادِيْسِ (١) بِدِمَشْقَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى بَيْرُوْتَ مُرَابِطاً بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَقِيْلَ: كَانَ مَوْلِدُهُ بِبَعْلَبَكَّ، حَدَّثَ عَنْ: عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَأَبِي جَعْفَرٍ البَاقِرِ، وَعَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، وَمَكْحُوْلٍ، وَقَتَادَةَ، وَالقَاسِمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ، وَرَبِيْعَةَ بنِ يَزِيْدَ القَصِيْرِ، وَبِلاَلِ بنِ سَعْدٍ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعَبْدَةَ بنِ أَبِي لُبَابَةَ، وَيَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيْرٍ، وَأَبِي كَثِيْرٍ السُّحَيْمِيِّ اليَمَامِيِّ، وَحَسَّانِ بنِ عَطِيَّةَ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ عُبَيْدِ بنِ أَبِي المُهَاجِرِ، وَمُطْعِمِ بنِ المِقْدَامِ، وَعُمَيْرِ بنِ هَانِئٍ العَنْسِيِّ، وَيُوْنُسَ بنِ مَيْسَرَةَ، وَمُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ التَّيْمِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَامِرٍ اليَحْصُبِيِّ، وَإِسْحَاقَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَالحَارِثِ بنِ يَزِيْدَ الحَضْرَمِيِّ، وَحَفْصِ بنِ عِنَانَ، وَسَالِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ المُحَارِبِيِّ، وَسُلَيْمَانَ بنِ حَبِيْبٍ المُحَارِبِيِّ، وَشَدَّادٍ أَبِي عَمَّارٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ، وَعَبْدِ الوَاحِدِ بنِ قَيْسٍ، وَأَبِي النَّجَاشِيِّ عَطَاءِ بنِ صُهَيْبٍ، وَعَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ، وَعِكْرِمَةَ بنِ خَالِدٍ، وَعَلْقَمَةَ بنِ مَرْثَدٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ سِيْرِيْنَ، وَابْنِ المُنْكَدِرِ، وَمَيْمُوْنِ بنِ مِهْرَانَ، وَنَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وَالوَلِيْدِ بنِ هِشَامٍ، وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ مِنَ التَّابِعِيْنَ، وَغَيْرِهِم، وَكَانَ مَوْلِدُهُ: فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ، رَوَى عَنْهُ: ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وَيَحْيَى بنُ أَبِي كَثِيْرٍ – وَهُمَا مِنْ شُيُوْخِهِ – وَشُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، وَيُوْنُسُ بنُ يَزِيْدَ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ العَلاَءِ بنِ زَبْرٍ، وَمَالِكٌ، وَسَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، وَابْنُ المُبَارَكِ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الفَزَارِيُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ عَيَّاشٍ، وَيَحْيَى بنُ حَمْزَةَ القَاضِي، وَبَقِيَّةُ بنُ الوَلِيْدِ، وَالوَلِيْدُ بنُ مُسْلِمٍ، وَالمُعَافَى بنُ

==

والليـــــث بـــــن ســـــعد[1] وســـــفيان بـــــن عيينـــــة[2]

==

عِمْرَانَ، وَمُحَمَّدُ بنُ شُعَيْبٍ، وَشُعَيْبُ بنُ إِسْحَاقَ، وَيَحْيَى القَطَّانُ، وَعِيْسَى بنُ يُوْنُسَ، وَالهِقْلُ بنُ زِيَادٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ الفِرْيَابِيُّ، وَأَبُو المُغِيْرَةِ الحِمْصِيُّ، وَأَبُو عَاصِمٍ النَّبِيْلُ، وَمُحَمَّدُ بنُ كَثِيْرٍ المَصِّيْصِيُّ، وَعَمْرُو بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ، وَيَحْيَى البَابْلُتِّيُّ، وَالوَلِيْدُ بنُ مَزْيَدٍ العُذْرِيُّ، وَخَلْقٌ كَثِيْرٌ»«سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (٧/ ١٠٧):

[1] – «اللَّيْثُ بنُ سَعْدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الفَهْمِيُّ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، وَعَالِمُ الدِّيَارِ، بَيْتِهِ يَقُوْلُوْنَ: نَحْنُ مِنَ الفُرسِ، مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ القَوْلَيْنِ، مَوْلِدُهُ: بِقَرْقَشَنْدَةَ – قَرْيَةٌ مِنْ أَسْفَلِ أَعْمَالِ مِصْرَ – فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ، قَالَهُ: يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ، وَقِيْلَ: سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِيْنَ، ذَكَرَهُ: سَعِيْدُ بنُ أَبِي مَرْيَمَ، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ، لأَنَّ يَحْيَى يَقُوْلُ: سَمِعْتُ اللَّيْثَ يَقُوْلُ: وُلِدْتُ فِي شَعْبَانَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ، قَالَ اللَّيْثُ: وَحَجَجْتُ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمائَةٍ، سَمِعَ: عَطَاءَ بنَ أَبِي رَبَاحٍ، وَابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَنَافِعاً العُمَرِيَّ، وَسَعِيْدَ بنَ أَبِي سَعِيْدٍ المَقْبُرِيَّ، وَابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ، وَأَبَا الزُّبَيْرِ المَكِّيَّ، وَمِشْرَحَ بنَ هَاعَانَ، وَأَبَا قَبِيْلٍ المَعَافِرِيَّ، وَيَزِيْدَ بنَ أَبِي حَبِيْبٍ، وَجَعْفَرَ بنَ رَبِيْعَةَ، وَعُبَيْدَ اللهِ بنَ أَبِي جَعْفَرٍ، وَبُكَيْرَ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ الأَشَجِّ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ القَاسِمِ، وَالحَارِثَ بنَ يَعْقُوْبَ، وَدَرَّاجاً أَبَا السَّمْحِ الوَاعِظَ، وَعُقَيْلَ بنَ خَالِدٍ، وَيُوْنُسَ بنَ يَزِيْدَ، وَحُكَيْمَ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ، وَعَامِرَ بنَ يَحْيَى المَعَافِرِيَّ، وَعُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ، وَعِمْرَانَ بنَ أَبِي أَنَسٍ، وَعَيَّاشَ بنَ عَبَّاسٍ، وَكَثِيْرَ بنَ فَرْقَدَ، وَهِشَامَ بنَ عُرْوَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي حُسَيْنٍ، وَأَيُّوْبَ بنَ مُوْسَى، وَبَكْرَ بنَ سَوَادَةَ، وَأَبَا كَثِيْرٍ الجُلَّاحَ، وَالحَارِثَ بنَ يَزِيْدَ الحَضْرَمِيَّ، وَخَالِدَ بنَ يَزِيْدَ، وَصَفْوَانَ بنَ سُلَيْمٍ، وَخَيْرَ بنَ نُعَيْمٍ، وَأَبَا الزِّنَادِ.راجع كتاب "سير أعلام النبلاء – ط الرسالة" (٨/ ١٣٦):

[2] –سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ بنِ أَبِي عِمْرَانَ مَيْمُوْنٍ الهِلَالِيُّ، مَوْلَى مُحَمَّدِ بنِ مُزَاحِمٍ، أَخِي الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، حَافِظُ العَصْرِ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الهِلَالِيُّ، الكُوْفِيُّ، ثُمَّ المَكِّيُّ، «مَوْلِدُهُ: بِالكُوْفَةِ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمائَةٍ، وَطَلَبَ الحَدِيْثَ وَهُوَ حَدَثٌ، بَلْ غُلَامٌ، وَلَقِيَ الكِبَارَ، وَحَمَلَ عَنْهُم عِلْماً جَمّاً، وَأَتقَنَ، وَجَوَّدَ، وَجَمَعَ، وَصَنَّفَ، وَعُمِّرَ دَهْراً،

==

وعبد الله بن المبارك[1] وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة اقرئوها

==

وَازدَحَمَ الخَلْقُ عَلَيْهِ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ عُلُوُّ الإِسْنَادِ، وَرُحِلَ إِلَيْهِ مِنَ البِلَادِ، وَأَلْحَقَ الأَحْفَادَ بِالأَجدَادِ، سَمِعَ فِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمائَةٍ، وَسَنَةَ عِشْرِيْنَ، وَبَعدَ ذَلِكَ، فَسَمِعَ مِنْ: عَمْرِو بنِ دِيْنَارٍ – وَأَكْثَرَ عَنْهُ وَمِنْ: زِيَادِ بنِ عِلَاقَةَ، وَالأَسْوَدِ بنِ قَيْسٍ، وَعُبَيْدِ اللهِ بنِ أَبِي يَزِيْدَ، وَابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيّ، وَعَاصِمِ بنِ أَبِي النَّجُوْدِ، وَأَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيْعِيّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ دِيْنَارٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَعَبْدِ المَلِكِ بنِ عُمَيْرٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ، وَأَبِي الزُّبَيْرِ، وَحُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَالِمٍ أَبِي،النَّضْرِ، وَشَبِيْبِ بنِ غَرْقَدَةَ، وَعَبْدَةَ بنِ أَبِي لُبَابَةَ، وَعَلِيّ بنِ زَيْدِ بنِ جُدْعَانَ، وَعَبْدِ الكَرِيْمِ الجَزَرِيّ، وَعَطَاءِ بنِ السَّائِبِ، وَأَيُّوْبَ السِّخْتِيَانِيّ، وَالعَلَاءِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَقَاسِمِ الرَّجَالِ، وَمَنْصُوْرِ بنِ المُعْتَمِرِ، وَمَنْصُوْرِ بنِ صَفِيَّةَ الحَجَبِيّ، وَيَزِيْدَ بنِ أَبِي زِيَادٍ، وَهِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، وَحُمَيْدٍ الطَّوِيْلِ، وَيَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ الأَنْصَارِيّ، وَأَبِي يَعْفُوْرَ العَبْدِيّ، وَابْنِ عَجْلَانَ، وَابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَسُلَيْمَانَ الأَعْمَشِ، وَمُوْسَى بنِ عُقْبَةَ، وَسُهَيْلِ بنِ أَبِي صَالِحٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي نَجِيْحٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ، وَأُمَيَّةَ بنِ صَفْوَانَ الجُمَحِيّ، وَجَامِعِ بنِ أَبِي رَاشِدٍ، وَحَكِيْمِ بنِ جُبَيْرٍ، وَسَعْدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ قَاضِي المَدِيْنَةِ، وَصَالِحٍ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ – وَقَالَ: سَمِعْتُ مِنْهُ وَلُعَابُهُ يَسِيْلُ – وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي حُسَيْنٍ، وَأَبِي الزِّنَادِ عَبْدِ اللهِ بنِ ذَكْوَانَ، وَعَبْدِ العَزِيْزِ بنِ رُفَيْعٍ، وَإِسْحَاقَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ مُحَمَّدٍ»«سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (٨/ ٤٥٤):

[1] –عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ بنِ وَاضِحٍ الحَنْظَلِيُّ، الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، عَالِمُ زَمَانِهِ، وَأَمِيْرُ الأَتْقِيَاءِ فِي وَقْتِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَنْظَلِيُّ مَوْلَاهُم، التُّرْكِيُّ، ثُمَّ المَرْوَزِيُّ، الحَافِظُ، الغَازِي، أَحَدُ الأَعْلَامِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ خُوَارِزْمِيَّةٌ، مَوْلِدُهُ: فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمائَةٍ، فَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِيْنَ سَنَةً، فَأَقْدَمُ شَيْخٍ لَقِيَهُ: هُوَ الرَّبِيْعُ بنُ أَنَسٍ الخُرَاسَانِيُّ، تَحَيَّلَ وَدَخَلَ إِلَيْهِ إِلَى السِّجنِ، فَسمِعَ مِنْهُ نَحْواً مِنْ أَرْبَعِيْنَ حَدِيْثاً، ثُمَّ ارْتَحَلَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَةٍ، وَأَخَذَ عَنْ بقَايَا التَّابِعِيْنَ، وَأَكْثَرَ مِنَ التَّرْحَالِ وَالتَّطْوَافِ، وَإِلَى أَنْ مَاتَ فِي طَلَبِ

==

كما جاءت بلا كيف»[1].

إذن كـــــان الصـــــحابة يـــــرون أن تأويـــــل[2] المتشـــــابه

==

العِلْمِ، وَفِي الغَزْوِ، وَفِي التِّجَارَةِ، وَالإِنفَاقِ عَلَى الإِخْوَانِ فِي اللهِ، وَتَجهِيزِهِم مَعَهُ إِلَى الحَجِّ، سَمِعَ مِنْ: سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، وَعَاصِمٍ الأَحْوَلِ، وَحُمَيْدٍ الطَّوِيْلِ، وَهِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، وَالجُرَيْرِيِّ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ أَبِي خَالِدٍ، وَالأَعْمَشِ، وَبُرَيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي بُردَةَ، وَخَالِدٍ الحَذَّاءِ، وَيَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَوْنٍ، وَمُوْسَى بنِ عُقْبَةَ، وَأَجْلَحَ الكِنْدِيِّ، وَحُسَيْنٍ المُعَلِّمِ، وَحَنْظَلَةَ السَّدُوْسِيِّ، وَحَيْوَةَ بنِ شُرَيْحٍ المِصْرِيِّ، وَكَهْمَسٍ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَأَبِي حَنِيْفَةَ، وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَمَعْمَرٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَشُعْبَةَ، وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَيُوْنُسَ الأَيْلِيِّ، وَالحَمَّادَيْنِ، وَمَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ لَهِيْعَةَ»«سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (٨/ ٣٧٨):

[1] –"الخازن" علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن/ لباب التأويل في معاني التنزيل/تصحيح: محمد علي شاهين/ج ١/ص ١٤٠/ط: دار الكتب العلمية/ط١/بيروت/١٤١٥هـ.تاريخ النشر بالشاملة: ١٦ شعبان ١٤٣٥.

[2] – التأويل في اللغة: التأويل مصدر علي وزن «تفعيل» وفعله الماضي رباعي، وهو «أول»، تقول: «أوّل يؤوّل، تأويل»، وجذر الكلمة الثلاثي هو: أول، قال الإمام ابن فارس عن «أول»:«أول» أصلان، هما: ابتداء الأمر، وانتهاؤه، من استعماله في الابتداء قولك: الأوّل، وهو مبتدأ الشيء. ومؤنثة: أولي. وجمعه: أوائل، ومن استعماله في انتهاء الأمر: الأيل. وهو الذكر من الوعول، وسمي أيّلا لأنه يؤول إلي الجبل، وينتهي إليه، ليتحصّن به، وقولهم: آل بمعني: رجع. ولهذا قالوا: أوّل الحكم إلي أهله. أي أرجعه، وردّه إلي أهله، و: الإيالة هي السياسة. لأنّ الرعية ترجع الأمور وتعيدها وتردّها إلي راعيها. وقولهم: آل الحاكم رعيته: إذا أحسن سياستها، و: آل الرجل: أهل بيته. وسمّوا بذلك لأنّ مرجعهم ومآلهم في الانتهاء إليه، كما أن مرجعه ومآله إليهم لأنهم ابتداؤه!!

التأويل في الاصطلاح:من أدق التعاريف للتأويل في الاصطلاح وأكثرها ضبطا، ما ذكره الامام الراغب الأصفهاني في المفردات، قال: التأويل هو «ردّ الشيء إلي الغاية المرادة

==

وتفسيره[1] وإدراك معناه، مقصور على الله تعالى، وأنه يجب عليهم التفويض، بأن له معنى يليق بالله تعالى، ولا يعلمه إلا الله تعالى.

==

منه، علما كان أو فعلا»، فتأويل الكلام هو ردّه إلي الغاية المرادة منه، وإرجاعه إلي أصله، وإعادته إلي حقيقته التي هي عين المقصود منه، أو بعبارة أخري: تأويل الكلام هو: ردّ معانيه وإرجاعها إلي أصلها الذي تحمل عليه، وتنتهي هي إليه. راجع" التفسير والتأويل في القرآن» (ص٢٩-٣٣):

[1] – التفسير في اللغة:التفسير مصدر، علي وزن «تفعيل»، وفعله الثلاثي «فسر». يقال: فسر الشيء فسرا، والفعل الماضي من التفسير، هو الرباعي «فسّر»، يقال: فسّر الشيء تفسيرا، والجذر الثلاثي للكلمة هو الفسر، قال الإمام أحمد بن فارس عن الفسر: الفسر كلمة تدلّ علي بيان الشيء وإيضاحه، تقول: فسرت الشيء، وفسّرته،

وقال الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات: الفسر: إظهار المعنى المعقول. ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: فسرة. [أي أنّ البول ينبئ ويكشف ويظهر المرض الموجود في الجسم، فالبول تفسرة وإظهار للمرض]، والتفسير في المبالغة كالفسر، أي أنّ الراغب يري اتفاق التفسير والفسر في أصل المعني، فهما يدلان علي إظهار المعني. لكن في التفسير مبالغة أكثر من الفسر، يقول الإمام أبو البقاء الكوفي في «الكليات» عن هذا المعنى الجامع للتفسير: التفسير: الاستبانة والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل، قال أهل البيان: التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء، فيؤتي بما يزيله ويفسّره.

للعلماء المفسّرين عدة أقوال في تعريف «تفسير القرآن»، أوردها الإمام السيوطي في «الاتقان»، نختار منها ما يلي:

١ – قال بعضهم: التفسير في الاصطلاح: هو علم نزول الآيات، وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ومكيها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،

==

ثانيا: التشبيه: –

الركيزة الأساسية، في عقيدة التشبيه، هي الركون إلى ظواهر النصوص، وتفسيرها من خلال معاجم اللغة؛ بناء على أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

فأصحاب الظاهر يبحثون عن المعنى اللغوي للألفاظ، ما لم يرد صارف شرعي ينقلها على معنى آخر، فالصلاة مثلا في قوله تعالى (خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣) [التوبة: ١٠٣] نحملها على المحمل اللغوي، وهو الدعاء، ونحملها في قوله تعالى(حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨) [البقرة: ٢٣٨] على المحمل الشرعي فتكون بمعنى: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.

وهكذا على غيرها من الآيات والأمثلة كثيرة، كالاستواء، واليد، والوجه، فالمرجع هو اللغة العربية، فيكون لله تعالى استواء كاستوائنا، ويد كأيدينا، ووجه كوجوهنا.

==

ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك.

٣ – وقال الزركشي: التفسير: علم يفهم به كتاب الله، المنزّل علي نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. راجع كتاب التفسير والتأويل في القرآن/المؤلف: صلاح عبد الفتاح الخالدي/ الناشر: دار النفائس – الأردن/ ص ٢٣–٢٧/الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٧.

على أننا، يجب أن نذكر هنا، ما يراه الماتريدي، من أن الإنسان مضطر إلى استخدام الصفات البشرية؛ لينتهي من خلالها إلى إثبات الصفات الإلهية، ولذلك قال:" إن حرف الوحيد ابتداؤه تشبيه، وانتهاؤه توحيد"[١]؛ وذلك لأن عقول البشر لا تستطيع إدراك الذات العلية ومما تتصف به، وبما أنها كذلك، فهي تحاول الوصول بما هو مدرك، إلى ما هو غير مدرك، يقول الماتريدي:" إِذْ بالمدرك الْمَفْهُوم يسْتَدلّ على مَا قصرت الأفهام من إِدْرَاك مَا عَن الأوهام نَحْو مَا يدْرك ثَوَاب الْآخِرَة وعقابها بلذات الدُّنْيَا والأذيات الَّتِي فِيهَا وَكَذَا وصف الله تَعَالَى بالمدرك من خلقه للدلالة والعبارة فَقيل عَالم وقادر وَنَحْو ذَلِك إِذْ فِي الْإِمْسَاك عَن ذَلِك تَعْطِيل وَفِي تَحْقِيق الْمَعْنى الْمَوْجُود فِي خلقه تَشْبِيه» [٢] .

إذن التنزيه ينطلق اساساً من التشبيه عند الماتريدي.

ثالثاً: التأويل: –

أدرك جماعة من علماء المسلمين ان المشبهة وقعوا في مزلق خطير، وهو تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا نقص، والنقص محال على الله تعالى.

كما أدركوا أن المشبهة لم يلحظوا أن اللغة العربية، فيها الحقيقة وفيها المجاز، وأن الكلام إذا خلا من المجاز فقد خلا من الحسن.

فبدأ هؤلاء الجماعة يصرفون ظواهر الآيات إلى مجاز اللغة، بما يتناسب مع الجناب الإلهي من حيث الجمال والجلال والتنزيه.

---

[١] – الماتريدي/ التوحيد/ ص ٤٢.

[٢] – السابق/ نفس الصفحة.

فالاستواء بمعنى الاستيلاء، اليد بمعنى القوة والقدرة والعطاء، الوجه كناية عن الذات بأكملها.

وإذا كان، صرف اللفظ، من حقيقته إلى مجازه يحتاج إلى قرينة، فإن القرينة في مثل هذه الآيات، هي التشبيه – الذي لا يليق بالله–بالمخلوقات، فيكون المعنى الحقيقي غير مراد، وينبغي صرف اللفظ إلى المجاز.

وزعماء هذا الاتجاه، جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، على أن المعتزلة يجعلون التأويل، هو الاختيار الأوحد الذي لا بديل عنه، أما الأشاعرة فيجعلون التأويل ثاني اثنين، فهم يقولون بالتأويل أو التفويض.

يقول الشيخ اللقاني في جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض، ورم تنزيها

رابعاً: الإثبات بضوابط: –

هناك البعض من العلماء الذين رفضوا الاتجاهات الثلاثة السابقة، واقاموا مذهبا رابعا وهو: الإثبات بضوابط، وهو مذهب ينبني على الإثبات للوصف مع نفي التشبيه، ورفض التأويل، ومحاولة فهم النص على مخرج الحكمة والمعنى[1]، وقد قال الإمام أبو حنيفة[2]:" وَله يَد وَوجه وَنَفس كَمَا ذكره الله

---

[1] – الماتريدي /التأويلات/ النحل/الآية٩٨.

[2] –أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، فأما زوطي فإنه من أهل كابل، وولد ثابت على الإسلام، وكان زوطي مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتق، فولاؤه لبني تيم الله بن ثعلبة ثم لبني قفل، وكان أبوحنيفة خزازًا، ودكانه معروف في دار عمر بن حريث بالكوفة» ٠٠٠ولد أبو حنيفة سنة ثمانين٠٠٠ توفي أبو حنيفة سنة خمسين ومائة٠٠٠ وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة٠٠٠ قال ابن عبد ==

تَعَالَى فِي الْقُرْآن فَمَا ذكره الله تَعَالَى فِي الْقُرْآن من ذكر الْوَجْه وَالْيَد وَالنَّفس فَهُوَ لَهُ صِفَات بِلَا كَيفَ وَلَا يُقَال إِن يَده قدرته اَوْ نعْمَته لِأَن فِيهِ إبِْطَال الصّفة وَهُوَ قَول أهل الْقدر[1] والاعتزال وَلَكِن يَده صفته بِلَا كَيفَ وغضبه وَرِضَاهُ صفتان من صِفَات الله تَعَالَى بِلَا كَيفَ»[2].

إذن هم يثبتون لله ما أثبته لنفسه في قرآنه، ويقرون به ويصدقونه، من غير تشبيه ولا تعطيل[3]، وفي تبيين ذلك يقول الماتريدي في تفسيره لقوله تعالى (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩) [البقرة: ٢٩]:"٠٠٠أن نصفه بالذي

==

البر: كان لأبي حنيفة أصحاب جلة رؤساء في الدنيا، ظهر فقهه على أيديهم، أكبرهم: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، لجده صحبة ذكر في الصحابة، كان قد روى الحديث وكتبه، ثم لازم أبا حنيفة فغلب عليه رأيه، وكان قاضي القضاة لثلاثة خلفاء: للمهدي، والهادي، والرشيد، ولا أعلم قاضيا كان إليه تولية القضاة في الآفاق من المشرق والمغرب إلا أبا يوسف هذا في زمانه.راجع كتاب «منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد» (ص١٦٣).

[1] – القدرية اسم اطلقه أهل السنة والجماعة على كل من يزعم أنه قدر فعله بنفسه، أي خلقه وأوجده استقلالاً، أول من قال بالقدر هو معبد الجهني البصري في أواخر عهد الصحابة، وأخذ عنه غيلان الدمشقي، وقد تبرأ منهم من سمع بهم من الصحابة.(بتصرف/ موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي/ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ ص٥٢٠-٥٢٢/ ٢٠٠٧.

[2] – أبو حنيفة/الفقه الأكبر/ ط دار البصائر/القاهرة/ص ٢٧بتصرف /ط١/القاهرة/٢٠٠٩م.

[3] – الماتريدي/ التأويلات/ الأعراف/ الآية ٥٤.

جاء به التنزيل على ما جاء، ونعلم أنه لا يشبهه على ما ذكر من الفعل٠٠٠وأنه لا يجوز أن يكون له مثل ".

ومن الواضح أن الماتريدي، من أصحاب هذا الرأي [١]– الإثبات بضوابط– حيث يقول:" وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ) [الشورى: ١١] فنفى عن نفسه، شبه خلقه، وقد بينا أنه، في فعله وصفته، متعال عن الأشباه، فيجب القول بـ (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ٥) [طه: ٥] على ما جاء به التنزيل، وثبت ذلك في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء، لاحتماله غيره، مما ذكرنا، واحتماله أيضاً، مما لم يبلغنا، مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق، ونؤمن بما أراد الله " [٢]، ويقول أيضاً في تفسيره لقوله تعالى (٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩) [البقرة: ٢٩]:" ٠٠٠أن يمكن فيه معان تخرج الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواضع افهام في تلك المواضع على إتمام البيان".

فهكذا يظهر الماتريدي، رافضاً للتأويل، آخذاً بما ورد في القرآن الكريم، نافياً الشبه عن الله تعالى بخلقه، غير قاطع بتفسير معين[٣]،يقول في تفسيره لقوله تعالى(أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ١٥٧) [البقرة: ١٥٧] ٠٠٠لزم نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته، ولزم الإقرار بما جاء من عنده، من غير طلب الكيفية له والتفسير، فالسبيل فيه، الإيمان بالتنزيل، والكف عن التفسير، والله أعلم".

---

[١] – الماتريدي / التوحيد/ ص٢٢٠.

[٢] – الماتريدي/ التوحيد/ ١٥٨.

[٣] – السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ص ٢٥.

وفي النهاية أذكر – بتصرف–رأي دكتور المسير[1] الذي يرى، أن العقل المسلم، الذي بدأ مع الأمر القرآني الأول" اقرأ" لا يكون إلا عقلا مجتهداً، يبحث وينقب، يحلل ويركب، يعلل ويستنبط، ثم يقرر ويختار الرأي الذي يستريح لأدلته وقرائنه.

ونحن – المسير–نقبل المذاهب الاجتهادية كلها في الصفات، ونقبل اعتقاد أي رأي فيهم، إلا مذهب التشبيه، فإنه لا مستند له من العقل، ولا تأييد له من الشرع، فنبذ التشبيه هو الأكرم للعقل والأصح في الدين.

ولا يعنينا–المسير–القول بأن: المشبهة أرادوا الإثبات ثم غلوا فيه، فكم من النوايا الحسنة الساذجة تلقي بأصحابها في المهالك.

إن المشبهة –عند حسن الظن بهم–أغبياء جهلاء؛ فالله تعالى لا يماثله أحد من خلقه، والمشبهة – عند سوء الظن بهم–عملاء دخلاء، يحملون أفكارا وثنية يريدون إقحامها على العقيدة الإسلامية.

وفي نهاية المبحث يتبين لنا مدى أصالة الفكر العقدي الماتريدي، الذي استنبط أدلته من الكتاب والسنة، في ضوء تحليل عقلي رصين، أدى إلى بقاء هذا الفكر العقدي سائداً في العالم الإسلامي إلى اليوم، تؤيده الاكتشافات العلمية، والبحوث العقلية والنفسية.

[1] – المسير / الإلهيات/ص ٥٣.

ثانياً: الأسمـــاء: –

من القضايا الهامة التي شغلت جزءا كبيرا من تفكير المسلمين، قضية الأسماء الإلهية، فلقد وقف عندها العلماء وأطالوا الوقوف، وبرهنوا على وجهة نظرهم فيها بشتى الأدلة، ومن هؤلاء العقائديين أبو منصور الماتريدي، الذي اثبت لله تعالى الأسماء الحسنى، بالأدلة العقلية والنقلية[١].

وقضية الأسماء الحسنى تشتمل على سؤالين مهمين، أو رئيسيين:

الأول هو: إلى ما يرجع الاسم؟ هل الذات، أم الصفة، أم الفعل، أم النفي؟

الثاني هو: هل الاسم عين المسمى أو غيره؟

وقد أجاب الماتريدي، عن التساؤل الأول، بأن قسم الأسماء الحسنى إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١– قسم من الأسماء يرجع إلى ذاته تعالى، مثل الله، الرحمن[٢].
(ويعبر عنه بـ إنها هو)[٣]

٢– قسم من الأسماء يرجع إلى صفاته تعالى[٤]، مثل العالم، القادر.
(ويعبر عنه بـ إنها غيره)

٣– قسم من الأسماء لا يرجع إلى ذاته تعالى، ولا إلى صفاته تعالى[٥]، (بل يرجع إلى فعل له تعالى، أو نفيٍ عنه تعالى) مثل خالق رازق

---

[١] – الماتريدي/ التوحيد/ ص٤٤.

[٢] – الماتريدي/ التأويلات/ سورة الفاتحة/ الآية٢/ الأعراف /الآية١٨٠.

[٣] – السابق/ الإسراء/الآية ١١٠.

[٤] – السابق/الحشر/الآية ٢٣.

[٥] – السابق/ ص ٦٥.

فهما يرجعان إلى أفعال الخلق والرزق، غني واحد وهما ينفيان عنه تعالى الفقر والتعدد.

(ويعبر عنه بـ إنها لا هو ولا غيره)

وأجاب الماتريدي، عن التساؤل الثاني، بأن أوضح في البداية أن القضية خلافية؛ فالبعض يرى أن الاسم هو المسمى بدليل قوله تعالى (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١) [الأعلى: ١] فلو كان الاسم غير المسمى لكان التسبيح لغير الله تعالى، لكن هذا باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو مغايرة الاسم للمسمى، وثبت أن الاسم هو المسمى.

والبعض يرى أن الاسم غير المسمى بدليل قوله تعالى (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠ [الأعراف: ١٨٠] فلو كان الاسم هو المسمى لتعددت الذات بتعدد الأسماء، لكن هذا باطل، فبطل ما أدى إليه وهو الاتحاد، وثبتت المغايرة بين الاسم والمسمى.

مع ملاحظة أن: للأشياء، أربع أنواع من الوجود، وهي وجود في[1]:

١- الأعيان

٢- الأذهان

٣- اللسان

٤- البنان

[1] - الماتريدي/ السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ ص ١٠

ويمكن أن نقول[1]:

١- الماصدق

٢- المفهوم

٣- الدلالة اللفظية

٤- الدلالة الخطية.

يرى الماتريدي، أن الذي يختص بالأسماء الحسنى هنا، هي الدلالة اللفظية.

والدلالة اللفظية، هي الأسماء، التي نطلقها على الله تعالى، ونعرفه، بها تعالى.

ويجب، ملاحظة، أننا، نسمي الله تعالى، بما تحتمله أفهامنا، وتسعه وتبلغه عقولنا وعباراتنا، لا، بما هو عليه، على الحقيقة؛ فلا أحد، يعرف حقيقة الله تعالى.

ولو احتمل، وسعنا، تسميته، بما لا يسمى به غيره، لفعلنا.

إذن، الأسماء هي ما يقرب الله تعالى، إلى الأفهام، لا، ما هو عليه، على الحقيقة[2].

فمن قال أن: الاسم هو المسمى، فقد نظر على الدلالة اللفظية، فالاسم هو لفظ يدل على المسمى؛ فهما واحد.

ومن قال أن: الاسم غير المسمى، فقد نظر إلى الوجود العيني والوجود الذهني، أو، نظر إلى المفهوم والماصدق، أو، نظر إلى الصفة والذات.

---

[1] - السابق / ص ١١.

[2] - السيف المشهور / ص ١١.

فاللفظ، أو الاسم، ليس له قيمة أو فائدة في ذاته؛ بل قيمته وفائدته هي في دلالته على المعنى والاشارة إليه.

فمن هذا المنطلق، هما واحد، والاسم هو المسمى.

ومن اعتبر، أن اللفظ، له وجود مستقل، وله قيمة في ذاته، بعيدة عن المعنى، فقد اعتبرهم مختلفان، والاسم غير المسمى.

إذن على حسب الاعتبار، يكون الاختيار، بين كونهما – الاسم والمسمى – واحد، أو، غير.[1]

على أن جماع الأمر، هو صدق التوجه إلى الله تعالى، والسعي لمعرفته، والبحث عن رضاه، لا الدخول في تفصيلات؛ قد تشغل وتلهي أكثر مما تنفع، وكما قال الماتريدي في الصفات، أننا نؤمن بها، كما أنزلها الله تعالى في قرآنه، وكما أرادها بلا تعطيل ولا تشبيه، ولكن بالتفويض على مراد الله تعالى، فكذلك نعتقد في الأسماء نؤمن بها مفوضين تفاصيلها لمراده تعالى وعلمه.

وأختم بعبارة الغزالي المجملة الجامعة التي قال فيها:" وهذه المباحث طويلة الذيل، قليلة النيل"[2].

---

[1] – السابق/ ص ١٣.

[2] – الغزالي / المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى/ تحقيق بسام عبدالوهاب الجابي/ط الجفان والجابي / ص ٣١/ ط١/قبرص/١٩٨٧م/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

رؤية الله تعالى

إن قضية رؤية الله تعالى من القضايا التي ثار حولها جدل كبير بين الفرق الكلامية، وتعددت فيها الآراء بين العلماء، فمنهم من ينكر ومنهم من يثبت، ومن هذه الفرق.

المشبهة:

وهم يثبتون رؤية المخلوقات لله تعالى، كرؤية البشر بعضهم لبعض، أي أن الله تعالى، يكون في جهة وفي مكان وتحيز، وتنطبق عليه كافة شروط الرؤية البشرية، بل حتى أنهم قالوا بالتزاور والتصافح والتعانق في الدنيا والآخرة[١].

المعتزلة:

وهم متفقون، على استحالة رؤية الله تعالى[٢]؛ مستندين، على أن رؤية الله تعالى، تستلزم التشبيه والتجسيم، وهو نقص مستحيل على الله تعالى، فاستحال ما أدي إليه، وهو الرؤية[٣].

---

[١] – الشهرستاني/ الملل والنحل/ ص ١٠٥.

[٢] – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي/ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال/تحقيق محب الدين الخطيب/ص ١٥٢.

[٣] – المسير/الإلهيات في العقيدة الإسلامية/ ص١٥٢.

جمهور المتكلمين:

وهم يقولون بجواز الرؤية عقلا، ووقوعها شرعاً، بلا تلازم بين الرؤية وبين التشبيه والتجسيم، فهم يثبتون رؤية بلا كيف ولا جهة ولا مقابلة.

والماتريدي – باعتباره من جمهور المتكلمين–قد فصل الكلام في قضية رؤية الله تعالى، في كتابه تأويلات أهل السنة–على النحو التالي:

أولاً: هل تجوز رؤية الله تعالى؟

نعم، تجوز رؤية الله تعالى، بالعقل والنقل، فالرؤية لازمة عند الماتريدي، مع تنزيهه تعالى عن الجهات والكيفيات[1] والإدراك والتفسير.

مع ملاحظة أن الرؤية جائزة عقلا، وليست واجبة عقلا، وليس كل ما هو جائز فهو واقع أو متحقق[2].

ثانياً: هل الرؤية تقع بالعين أم بالقلب؟

الرؤية قد تكون بالقلب، فالنبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى بقلبه، وهذه الرؤية القلبية خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الرؤية أثبتها الماتريدي وأوضحها عند شرحه لقوله تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) سورة النجم/الآية ١١، وقوله –عَزَّ وَجَلَّ –: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. . .) سورة النجم /الآية ١٤، إلى آخره ذكر خصوصية رسولنا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ –من بين غيره من الخلائق، منها: رؤية جبريل –عليه

[1] – راجع السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ص ١٤، وكذلك راجع الأمير غازي ص ٧٧

[2] – السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ ص ١٤.

السلام –على صورته، ورؤية الرب تعالى بقلبه؛ إن ثبت الحديث عنه، وبلوغه إلى سدرة المنتهى؛ إذ لم يذكر لأحد من رسل الله تعالى: أنه بلغ هذا المبلغ سواه).

وقد تكون الرؤية بالعين مع نفي الكيفية والجهة والتحيز؛ وهذا ليس بعيداً عن قدرة الله تعالى؛ فهو قادر على أن يخلق فينا رؤية خاصة به بلا كيفية، إلا أن الماتريدي يستبعد هذا الرأي، ويرى أنه خلاف ما ورد في الكتاب والسنة من أن الرؤية تكون في الآخرة وليس في الدنيا، وكذلك رؤية العين مستبعدة لأنه – صلى الله عليه وسلم– سأل ربه مشاهدة الأدلة والبراهين، وليست مشاهدة الأدلة والبراهين لها فائدة عند رؤية العين، لكنها لها فائدة بدليل طلب النبي صلى الله عليه وسلم لها، فانتفت رؤية العين وثبتت رؤية الأدلة، يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) سورة النجم/الآية١١،ومنهم من قال: إنه رأى ربه على العيان بعينه، فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية في الآخرة بالكتاب والسنة المتواترة، ولأنه لو رأى ربه تعالى على ما قالوا، لكان لا يحتاج إلى أن يرى آياته الكبرى؛ لأن رؤية الآيات إنما يحتاج إليها عندما يعرف الشيء بالاجتهاد، فأما عند المشاهدة وارتفاع الموانع، لا حاجة تقع إليها»

ثالثاً: رؤية الله تعالى هل تقع في الدنيا أم في الآخرة؟

لا تقع رؤية الله تعالى في الدنيا، بل تقع الرؤية في الآخرة فقط؟ فالماتريدي يرى أن رؤية الله تعالى لا تقع في الدنيا، وإنما تقع في الآخرة؛ استناداً إلى الكتاب والسنة من أن الرؤية تكون في الآخرة وليس في الدنيا، يقول أبو منصور في تفسيره لقوله تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) سورة النجم/الآية١١ ٠٠٠ ما ثبت من وعد الرؤية في الآخرة بالكتاب والسنة المتواترة).

رابعاً: دليل عدم جواز وقوعها في الدنيا: –

١– الدليل الأول: قول الماتريدي في تفسير قوله تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) سورة النجم/الآية١١، ومنهم من قال: إنه رأى ربه على العيان بعينه، فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية في الآخرة بالكتاب والسنة المتواترة).

٢– الدليل الثاني: قول الماتريدي في تفسير قوله –عَزَّ وَجَلَّ –: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) ٠٠٠هل الرسل –عليهم السلام –يرون ربهم ويشاهدونه ويشافهونه؟ فأخبر أنه ليس من البشر من يكلمه إلا بالطرق الثلاثة التي ذكرها، والسؤال وقع عن الرؤية في الدنيا، فيكون الجواب بناء على السؤال، والله أعلم.

٠٠٠ فأما أن يحتمل وسع أحد رؤيته أو يشافهه أو يعاينه في الدنيا فلا، والله الموفق).

خامساً: دليل جواز وقوع الرؤية لله تعالى في الآخرة: –

يرى الماتريدي أن رؤية الله تعالى جائزة عقلا وشرعاً[١]، ولا تقع في الدنيا – كما سبق وأشرنا ودللنا على ذلك– إنما تقع في الآخرة فقط؛ لأنها ذكرت في معرض الحديث عن نعيم الآخرة للمؤمنين الناجين الفرحين بدخول الجنة؛ فهو يقول في تفسير قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا

[١] – راجع السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ص ١٤، وكذلك راجع الأمير غازي ص ٧٧

نَاظِرَةٌ)٠٠٠سورة القيامة/ الآية ٢٣، فيكون في قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) وصف لهم بما هم عليه من غاية السرور بالكرامات التي أكرموا بها حتى نضرت وجوههم بذلك ٠٠٠وإذا ثبت أنهم قد نالوا الكرامات، ووصلوا إلى أنواع اللذات، لم يبق لقوله: (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) موضع، إلا أن يصرف إلى حقيقة النظر؛ فيكون في هذا إثبات القول بالرؤية).

سادساً: أدلة جواز وقوع الرؤية لله تعالى: –

يسوق الماتريدي الكثير من الأدلة على وقوع الرؤية لله تعالى، منها

١– نفي الإدراك لله تعالى؛ فلو لم تثبت الرؤية لله تعالى، لم يكن لنفي الإدراك فائدة، ولكان زائدا، لكن هذا – الزيادة–مستحيلة على الله تعالى، فبطل ما أدى إليها، وثبتت الرؤية له تعالى، يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) سورة الأنعام/ الآية١٠٣،لأنه نفى عنه الإدراك، فلو لم يكن يحتمل الرؤية لم يكن لنفي الإدراك معنى؛ لأنه لا يدرك ما لا يرى؛ فدل نفي الإدراك على أن هنالك رؤية، لكنه لا يدرك ولا يحاط بها؛ ٠٠٠فإذا كانت معارف الخلق في الأشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يدرك حقيقة ماهيتها، ولا يعرف كيفيتها، ولا يحاط بها علما؛ فالله – سبحانه – الذي بحكمته وضع ذلك، وبلطفه ركب – أبعد عن الإدراك، وأحرى ألا يحاط به، ولا يدرك٠٠٠وأصله أن الله – تبارك وتعالى – يعرف بالآيات والدلائل، لا بالمحسوسات والمشاهدات، وكل شيء سبيل معرفته الآيات والدلائل: فهو غير محاط به ولا يدرك؛ فهو على ما وصف نفسه: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)، (لَا

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)؛ لأن الإدراك والإحاطة إنما يقعان بالمحسوسات، لا بما يعرف بالآيات والدلائل).

٢- قول الله -عَزَّ وَجَلَّ -: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) سورة القيامة.

٣- قول عَبْدَةُ بنُ عبدِ اللهِ، حدثنا حُسَينٌ الجُعْفِيُّ، عن زائدةَ، حدثنا بَيانُ بنُ بِشْرٍ، عن قيسِ بن أبي حازمٍ، حدثنا جريرٌ، قال: خرج علينا رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – ليلةِ البدرِ، فقالَ: ((إنكم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم يومَ القيامةِ، كما تَرَونَ هذا، لا تُضَامُون في رؤيتِهِ))، ...

قوله: ((إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر))، هذا بيان بليغ، وتأكيد عجيب، فأكده بأن، وبالفعل المضارع المسبوق بالسين، وبقوله» (سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر)) المرجع البخاري/ كتاب التوحيد/حديث رقم ٦٤، وأهل التوحيد لم يختلفوا في صحة الأخبار التي جاءت في إثبات الرؤية، ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف الأخبار إلى العلم، وذلك غير مستقيم لوجهين:

- أحدهما: أن البشارة برؤية الله تعالى خص بها أهل الجنة، ولو كان المراد من الرؤية العلم، لارتفع الاختصاص؛ لأن العلم به مما يقع به الاشتراك بين الفريقين.
- ولأن كلا يجمع على العلم بالله عز وجل في الآخرة، العلم الذي لا يعتريه الوسواس ولا الريب، والعلم الذي لا يعتريه الوسواس والريب هو علم العيان والمشاهدة، لا علم الاستدلال.

٤- سؤال موسى – عليه السلام–الرؤية لربه تعالى، يدل على جوازها؛ وإلا كان موسى جاهلا، وهذا محال عليه، لأن الجاهل ليس موضعاً لرسالة الله تعالى، وليس أميناً على الوحي[١]، فبطل ما أدى إليه وهو عدم جواز الرؤية، وثبت طلب الرؤية الحقيقية.

٥- لو كانت الرؤية لا تجوز، لكان الله تعالى نهاه عن طلبها، لكنه تعالى لم يفعل، فبطل عدم الجواز، وثبت الجواز.

٦- بطلان من أول طلب موسى للرؤية، على أنه طلب لرؤية دلائل وآيات وجوده تعالى، وأن موسي لم يقصد رؤية ربه؛ ولكن رؤية آيات ودلائل ربه، أي أرني أنظر إلى آيات ودلائل وجودك، لا، أرني أنظر إليك، والماتريدي يستبعد هذا الرأي أيضاً؛ لأن الله تعالى أعطى موسى من الآيات ما يكفي في الدلالة على وجوده تعالى، فإذا بطل ذلك، دل على أنه سأل ربه حقيقة الرؤية.

٧- تعليق الرؤية على أمر ممكن الحدوث في ذاته–وإن لم يحدث–، وهو استقرار الجبل، ويتضح ذلك في تفسير الماتريدي لقوله عز وجل لموسى –عليه السلام –: (وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) سورة الأعراف/الآية١٤٣ .

٨- محاجة إبراهيم قومه، بأفول الرب، لا بعدم رؤيته، يدل على جواز الرؤية.

٩- قول بعض المفسرين، في تفسير قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أن الزيادة هي، النظر إلى وجهه تعالى، وليست العلم به تعالى؛ إذ العلم به تعالى متحقق في الآخرة للجميع.

---

[١] – الماتريدي/ التوحيد / ص ٧٨.

١٠- عدم إنكار، النبي صلى الله عليه وسلم، على من سأله-صلى الله عليه وسلم – عن رؤية الله عز وجل، بل جاوب النبي على هذا السؤال، وهذا دليل على جواز وقوع الرؤية، فقد ورد في صحيح مسلم (١/ ١٦١) الحديث رقم (١٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

سابعاً: التفريق بين رؤية الله تعالى، ورؤية المخلوقات: –

رؤية الله تعالى تختلف عن رؤية بقية المخلوقات، فرؤية المخلوقات تحتاج إلى جهة ومكان وحيز وجوهر وعرض، ورؤية الله تعالى تختلف تماما عن ذلك، ولا تحتاج لأي شيء مما سبق من شروط الرؤية السليمة، وفي ذلك يقول الماتريدي عند تفسيره لقوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)سورة النساء/الآية١٣ ٠٠٠كذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق، ولا يفهم من مجيئه مجيء الخلق، ٠٠٠إذ قد ثبت بضرورة العقل وحُجج السمع تعاليه عن المعاني التي هي معاني خلقه؛ فعلى ذلك ما أضيف إليه من طريق العقل من الاستواء، والمجيء، والرؤية).

كذلك من الثابت أن الرؤية في الشاهد غير الرؤية في الغائب، وبالتالي فرؤية المخلوقات غير رؤيته تعالى؛ أي يجوز تحقيق الرؤية لله تعالى مع نفي المعاني [1] .

ثامناً: التفريق بين الرؤية وبين الإدراك: –

يثبت الماتريدي الرؤية من العباد لله تعالى، وينفي الإدراك من العباد لله تعالى، إذن هو يفرق بين الرؤية والإدراك، فالرؤية مجرد ابصار للمرئي، سواء كان الإبصار للمرئي بالعين ام بالقلب.

أما الإدراك فهو الإحاطة بالمدرك، والوقوف على حدوده، وهو منتف عن الله تعالى، لما يستلزمه الإدراك من الجهة والمكان والتحيز.

يقول الماتريدي في تفسير قوله –عَزَّ وَجَلَّ –: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) سورة الأنعام/ الآية ١٠٣ ، ٠٠٠نفى عنه الإدراك، فلو لم يكن يحتمل الرؤية لم يكن لنفي الإدراك معنى؛ لأنه لا يدرك ما لا يرى؛ فدل نفي الإدراك على أن هنالك رؤية، لكنه لا يدرك ولا يحاط بها).

[1] – الماتريدي/التوحيد/ص ٨١.

الخـاتـمـة

١- الإلهيات هي، معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله تعالى، كتاب "تأويلات أهل السنة" من أهم كتب الماتريدي، وهو كتاب تفسير وكتاب شرح وبيان لموضوعات العقيدة المختلفة، كما أنه كتاب دفاع عن العقيدة ضد خصومها، والماتريدي هو، أبو منصور الماتريدي صاحب المذهب المعروف في بلاد ما وراء النهر.

٢- معرفة الله تعالى أول وأهم قضية عقدية؛ لأنها سبب التصديق، وللمعرفة طريقان عقلي ونقلي.

٣- وجود الله تعالى ثابت، والأدلة عليه كثيرة ومتنوعة، الآفاق والأنفس من أكبر وأهم الأدلة.

٤- صفات الله تعالى، تدل على ثبوت كل كمال له تعالى، وكذلك تدل على نفي كل نقص وعجز عليه جل وعلا، الصفات تنقسم إلى صفات نفسية، سلبية، معاني، أفعال، معنوية، خبرية.

٥- الصفات الخبرية، للمسلمين تجاهها أربعة اتجاهات: التفويض، التشبيه، التأويل، الإثبات بضوابط.

٦- الإثبات بضوابط هو: إثبات الوصف لله تعالى، مع نفي التشبيه ورفض التأويل، ومحاولة فهم النص على مخرج الحكمة والمعنى.

٧- الأسماء الحسنى، ثلاثة أقسام: قسم راجع إلى ذاته تعالى، إلى صفاته تعالى، لا إلى ذاته ولا صفاته.

٨- الاسم هو المسمى بلحاظ الماصدق، الاسم غير المسمى بلحاظ المفهوم.

٩- رؤية الله تعالى جائزة عقلا وشرعا-مع ملاحظة أنه ليس كل جائز واقع-بلا كيف.

١٠- الرؤية قد تكون قلبية-وهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم-وقد تكون بالعين، وهي لا تقع في الدنيا بل في الآخرة فقط، وهي رؤية وليست إدراك؛ إذ الإدراك يلزمه الإحاطة وهي محالة على الله تعالى.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي /منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد/المحقق: محمود بن عبد الرحمن قدح/الناشر: بدون ناشر/ (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)/الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣- أبو منصور/ التوحيد/ تحقيق د. فتح الله خليف/ ط دار الجامعات المصرية/ الإسكندرية/ مصر.

٤- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي/ " روضة الناظر وجنة المناظر" في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل/ /الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع/ط٢/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥- أبو حنيفة/الفقه الأكبر/ ط دار البصائر / القاهرة / ط١/ القاهرة / ٢٠٠٩م .

٦- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان /المحقق: إحسان عباس/الناشر: دار صادر – بيروت.

٧- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد/المحقق: الدكتور بشار عواد

معروف/الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

٨- ابن حجر العسقلاني/فتح الباري شرح صحيح البخاري/ط دار المعرفة/ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي/ تصحيح محب الدين الخطيب/ بيروت/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة/١٤٣١هـ.

٩- ابن رشد/ مناهج الأدلة في عقائد الملة/ تحقيق محمود قاسم/القاهرة/١٩٧٢م.

١٠- أحمد قوشتي عبدالرحيم/ الاتجاهات الحشوية في الفكر الإسلامي "عرض ونقد"/ حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية/ كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة/السنة السابعة/العدد ٢٥.

١١- الإيجي/ شرح المواقف/ تحقيق د.أحمد المهدي/ ط مكتبة الأزهر.

١٢- الباقلاني / الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به/ ط الخانجي / ط٢ / القاهرة / ١٩٦٣م.

١٣- البغدادي / أصول الدين/ ط٢/ بيروت/١٩٨٠.

١٤- بلقاسم الغالي / أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية/ط دار التركي/١٩٨٩م.

١٥- تاج الدين السبكي/السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور/ تحقيق د. مصطفى صائم بيرم / ط آيدم / ط١ /٢٠١١م.

١٦- التفتازاني/ شرح العقائد النسفية/ ط المثنى/ط١/١٣٢٩هـ.

١٧- تيسير أحميد الركابي/العقل والاستدلال العقلي عند المتكلمين/ط دار الفيحاء/ط١/لبنان/٢٠١٧.

١٨- جلال الدين السيوطي/ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير/ تحقيق يوسف النبهاني/ط دار الفكر/ ط١/بيروت / لبنان/٢٠٠٣م/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.

١٩- جلال الدين السيوطي/ تاريخ الخلفاء/تحقيق حمدي الدمرداش/الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز/ الطبعة الأولى/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة١٤٣١هـ.

٢٠- الخياط / الانتصار / تحقيق نيبرج /ط دار الكتب المصرية / القاهرة / ١٩٢٥م.

٢١- الرازي /محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين/ ط المطبعة الحسينية/ القاهرة/١٣٢٣هـ.

٢٢- زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي / الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/المحقق: د.مازن المبارك / الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت / ط ١، ١٤١١/ تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٢٣- سلطان العميري / قانون التأسيس العقدي/ ط ١/ ط تكوين/٢٠٢٠م.

٢٤- السبكي / طبقات الشافعية الكبرى/ تحقيق الطناحي، الحلو / ط١/١٤١٣ هـ / تاريخ النشر بالشاملة : ٨ ذو الحجة١٤٣١هـ

٢٥- الشهرستاني / الملل والنحل/ تصحيح تعليق أحمد فهمي محمد/ ط دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان.

٢٦- الشهرستاني/ نهاية الأقدام في علم الكلام/تحرير وتصحيح الفريد جيوم/ط المثنى / بغداد.

٢٧- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط / الناشر : مؤسسة الرسالة / ط/٣ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٢٨- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي/ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال/تحقيق محب الدين الخطيب.

٢٩- صلاح عبد الفتاح الخالدي/التفسير والتأويل في القرآن/ الناشر: دار النفائس – الأردن/ الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٧.

٣٠- عاطف العراقي/مذاهب فلاسفة المشرق/ ط١٠/ط دار المعارف ١٩٩٢م.

٣١- عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني /الفرق بين الفرق/تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد/ /المكتبة العصرية

٣٢- عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي / الأنساب / المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره / الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/الطبعة: الأولى،

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٣٣- عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي أبو محمد محي الدين الحنفي / الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية / ط مير محمد كتب خانه / كراتشي/ الشاملة / تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٣٤- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن/ لباب التأويل في معاني التنزيل/تصحيح: محمد علي شاهين/ ط: دار الكتب العلمية / ط ١ / بيروت / ١٤١٥هـ. تاريخ النشر بالشاملة: ١٦ شعبان ١٤٣٥.

٣٥- الغزالي/ معارج القدس في مدارج معرفة النفس/ ط الاستقامة/القاهرة/١٣٢٩هـ.

٣٦- الغزالي / المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى/ تحقيق بسام عبدالوهاب الجابي/ط الجفان والجابي/ ط١/قبرص/١٩٨٧م/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٣٧- فاطمة يوسف الخيمي/ مقدمة كتاب" تأويلات أهل السنة"/ط مؤسسة الرسالة ناشرون/ ط١/بيروت/٢٠٠٤م.

٣٨- القاضي عبد الجبار /شرح الأصول الخمسة /تحقيق عبد الكريم عثمان/ط مكتبة وهبة/ القاهرة/١٩٦٥م.

٣٩- قاضي زاده/نظم الفرائد وجمع الفوائد/ط١/القاهرة/١٣١٧هـ.

٤٠- الكندي/رسالة الكندي في إيضاح تناهي جرم العالم/ضمن رسائل الكندي الفلسفية/ تحقيق د.محمد عبدالهادي أبوريدة/ط دار الفكر العربي/١٩٥٠م.

٤١- كمال الدين أجمد بن حسن البسنوي/إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان/تحقيق أحمد فريد المزيدي/ط دار الكتب العلمية/ط١/لبنان/٢٠٠٧م.

٤٢- الكمال بن أبي شريف بن الهمام/ المسامرة بشرح المسايرة/ ط المكتبة الأزهرية للتراث/٢٠٠٦م.

٤٣- محمد سيد أحمد المسير/ الإلهيات في العقيدة الإسلامية/ط دار الاعتصام/القاهرة.

٤٤- محمد سيد أحمد المسير / التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية/ط دار الطباعة المحمدية/ ١٩٩٨م/ مصر.

٤٥- مجدي باسلوم/ مقدمة تحقيق كتاب" تأويلات أهل السنة"/ للماتريدي/ط دار الكتب العلمية/ لبنان/٢٠٠٥م/ أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين/تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣.

٤٦- محمد بن صالح بن محمد العثيمين/شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية/الناشر: دار الوطن/الرياض/ط١/تاريخ النشر بالشاملة: ٠٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٤٧- محمد لطفي جمعة/تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب/ط المكتبة العلمية/ بيروت.

٤٨- يوسف كرم/الطبيعة وما بعد الطبيعة/ط مكتبة الثقافة الدينية/ط١/٢٠٠٩م.

الفهرس

العنوان

١- المقدمة
٢- التمهيد
٣- المبحث الأول
٤- المبحث الثاني
٥- المبحث الثالث
٦- المبحث الرابع
٧- الخاتمة
٨- المراجع
٩- الفهرس